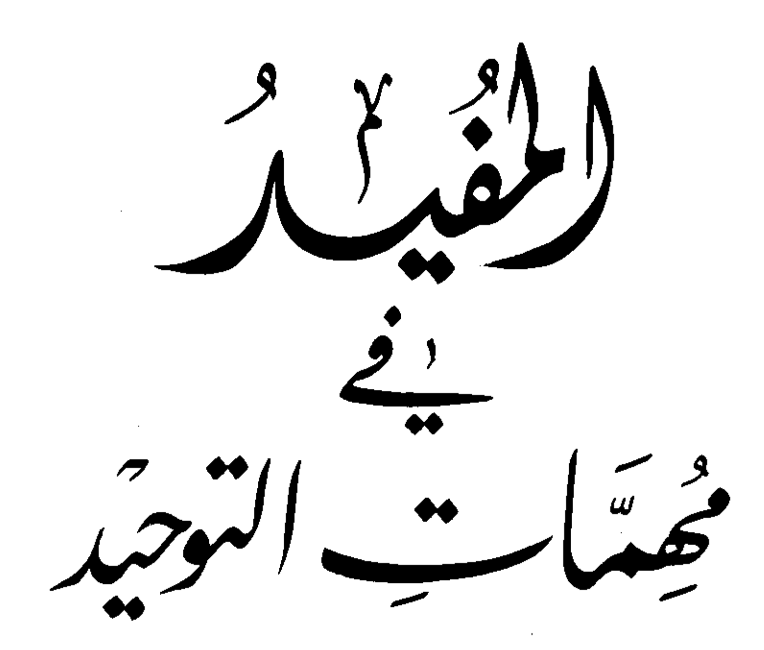


تأليف
الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي
الأستاذ المساعد بكلية المعلمين في أبها

دار الأعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا. من يهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً ﷺ عبدُه ورسولُه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٧٠-٧١].

"أمَّـــا بعدُ : فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمَّد ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدَثاتُها ، وكلّ بدعة ضلالة"[1] ، "وكلّ ضلالة في النَّار"[2] .

ثمَّ أمَّـــا بعد: فإنَّ اللهَ ﷻ بعثَ نبيَّنا محمَّداً ﷺ بالهدى ودين الحقِّ بين يدي الساعة بشيراً ونذيـــراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً . أرسله ربُّه ﷻ على حين فترةٍ من الرُّسل ، ودروسٍ من الكتب ، وقلَّةٍ من العلم ؛ حين حُرِّف الكَلِمُ ، وبُدِّلَت الشرائعُ ، واستندَ كلُّ قـــومٍ إلى أهوائهـــم وآرائهم ، ليُخرجَ النَّاس من الظلمات إلى النُّور . فأشرقت الأرضُ برسالته ﷺ بعد ظُلمتها ، وتألَّفت بها القلوبُ بعد شتاتها وتفرُّقها، وفتحَ اللهُ بها أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمًّا، وقُلوباً غُلْفاً، وفُرِّق بين الحقِّ والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغيِّ ، والصدق والكذب ، والمعروف والمنكر، وطريق أولياء الله السعداء ، وأعداء الله الأشقياء .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة .

(٢) هذه الزيادة أخرجها البيهقي في السنن الكبرى ٣/٢١٤ .

ولم يمت رسولنا ﷺ حتَّى بيَّنَ للنَّاس جميعَ ما يحتاجون إليه ، فتركهم على مثلِ البيضاء ليلُها كنهارِها ، لا يزيغُ بعدَه عنها إلاَّ هالكٌ .

وقد اعتصم أصحابه من بعده بكتاب ربِّهم ﷻ ، وسنَّة نبيِّهم ﷺ ، ودعوا النَّاس إليهما بالحكمة والموعظة الحسنة . ومن بعدهم قام علماء أمَّته ﷺ بمهمَّة الدعوة إلى الله ﷻ خيرَ قيام ؛ فوضَّحوا للنَّاس أمورَ دينهم، وكان من أجلِّ ما وضَّحوه العقيدة، التي أولوها قدراً كبيراً من جهودهم، وجهادهم، وتعليمهم، وتأليفهم . ورغبة منِّي في التشبُّه بهم -رغم قصر الباع ، وقلَّة البضاعة- كتبتُ هذه الورقات المقتبَسة من كتبهم[1] ، سائلاً الله ﷻ أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم ، وفي ميزان حسناتي يوم الدين ، وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أبها في ١٤٢٢/٩/٢٩هـ

---

(١) أصل هذا الكتاب : محاضرات ألقيتُها على طلبة كليَّة المعلمين ، في مادَّة العقيدة الإسلاميَّة (١٠١س) "الإعداد العام" .

تمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف ببعض المصطلحات .

المبحث الثاني : مصادر العقيدة الإسلاميَّة .

المبحث الثالث : ذكر بعض خصائص العقيدة الإسلاميَّة .

المبحث الأوّل

تعريف ببعض المصطلحات

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : في بيان معنى العقيدة .

المسألة الثانية : في بيان بعض المسمَّيات التي أُطلقت على العقيدة الإسلاميَّة .

المسألة الثالثة : في بيان بعض المسمَّيات التي أُطلقت على حَمَلَةِ العقيدة الإسلاميَّة .

المسألة الأولى

في بيان معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح

قبل الحديث عن مصادر العقيدة ، وذكر بعض خصائصها ، لا بُدَّ من وقفتين :

الوقفة الأولى : في معنى العقيدة لغةً :

مادة "عَقَدَ" تدور بين عدَّة معان، منها: الربط والشدّ، والعهد، والملازمة، والتأكيد[1].

١- الربطُ والشدُّ بقوّة . يُقال : عَقَدَ الحبلَ ، يَعْقِدُهُ عَقْداً ، إذا ربطه وشدَّه بقوة .

٢- العهد . يُقال : بين هذه القبيلة وتلكَ عَقْدٌ : أي عهدٌ . وجمعه عُقُود. ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: من الآية١] ؛ أي أوفوا بالعهود التي أكّدتموها .

٣- الملازمة . يُقال: عَقَدَ قلبَه على الشيءِ، أو عَقَدَ قلبُه الشيءَ، إذا لزمه. ومن هذا الباب قولـه ﷺ : "الخَيْلُ مَعْقُودٌ في نَوَاصِيها الخيرُ إلى يوم القيامة"[2]؛ فمعقودٌ في نواصيها : أي ملازمٌ لها، حتى لكأنّه عُقِدَ عليها .

٤- التأكيد . يُقال : عَقَدَ البيعَ ، إذا أكّدَه . ومنه العقد المكتوب في البيع ؛ إذ هو لم يُكتب إلاّ بعد إيقاع البيع وتأكيده .

الوقفة الثانية : في بيان معنى العقيدة اصطلاحاً :

بعد أن عرفنا بعض معاني العقيدة في اللغة ، لنا أن نتساءل : ما هو معنى العقيدة الذي تعارف عليه أهل العلم ؛ إذ من المعلوم أنّ لكلّ علمٍ مصطلحاته الخاصَّة به ، والتي تُعدّ جزءاً من منهجيَّته ؟ .

---

(١) انظر من كتب اللغة : الصحاح للجوهري ٥١٠/٢ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٣٨٣. وأساس البلاغة للزمخشري ١٣١/٢-١٣٢ . والكشاف له ٤٦٦/١ . ولسان العرب لابن منظور ٢٩٥/٣-٣٠٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة .

فنُجيب : العقيدة اصطلاحاً هي :

١- التصـــديق الجازم فيما يجب لله ﷻ من الوحدانيَّة، والربوبيَّة، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا(١) .

٢- تصميم القلب ، والاعتقاد الجازم الذي لا يُخالطه شكّ في المطالب الإلهيَّة ، والنبوَّات ، وأمور المعاد ، وغيرها ممَّا يجب الإيمان به(٢) . والمطالب الإلهيَّة : الإيمان بالله في ربوبيّته، وألوهيّته، وأسمائه وصفاته .

٣- ما عَقَدَ الإنسانُ قلبَه عليه ، ودانَ لله ﷻ به(٣) .

س : ما هو الرابط بين المعنى اللغوي ، والمعنى الاصطلاحيّ ؟

ج : الارتباط بينهما ظاهرٌ ؛ لأنَّ هذا الذي جـــزم بالشيء ، وصمَّم عليه ، قد ألزَمه قلبَه ، وربطه عليه ، وشدَّه بقوة ، بحيث لا يتفلّت منه أبداً .

المسألة الثانية

في بيان بعض المسمَّيات التي أُطلقت على العقيدة الإسلاميَّة

الملاحظُ أنَّ العقيدة لم تَرِدْ بلفظها في الكتاب والسنَّة، وإن كانت قد وردَتْ مادّتها، كما في قـــول الله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: من الآية٨٩]؛ أي يُؤاخذكم إذا حنثتم في الأيمان التي وثّقتُموها وأكّدتموها .

وكما في قوله ﷺ : "الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ"(٤) ؛ أي ملازمٌ لها إلى يوم القيامة .

---

(١) انظر الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٧ .

(٢) انظر العقيدة الإسلاميَّة وتاريخها للدكتور محمد أمان الجامي ص ٥ .

(٣) انظر الأسئلة والأجوبة الأصوليَّة للسلمان ص ٢٣ .

(٤) تقدَّم تخريجه ص ٨ .

كذلك، لم يستخدم علماء الأمّة في القرون المفضّلة مصطلح "عقيدة"، وإنّما استخدموا مصطلحات أخرى . وأوّل من استخدم هذا المصطلح –فيما أعلم– هو الإمام أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) في كتابه الذي وسمه بـ"أصل السنة واعتقاد الدين"، وتلاه الإمام أبو بكر الإسماعيليّ (ت ٣٧١هـ) الذي وسم كتابه بـ"اعتقاد أئمّة الحديث"، وتبعه الأئمّة؛ كأبي القاسم اللالكائي (ت ٤١٨هـ) في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، وأبي عثمان الصابوني (ت ٤٤٩هـ) في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث" ، وأبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في كتابه "الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة" ، وقوام السنة الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) في كتابه "الحجة في بيان المحجّة وشرح عقيدة أهل السنة" ، وغيرهم .

ولنا وقفات مع المصطلحات الأخرى التي استخدمها العلماء بدلاً من مصطلح "العقيدة"، "ومن ثمرة الوقوف على أسماء هذا العلم : معرفة مصادره الأصيلة"[١] .

الوقفة الأولى : مع مسمّى "التوحيد" :

من مسمّيات هذا العلم : التوحيد .

تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً :

هو في اللغة مصدر من: وحَّد يُوَحِّد توحيداً ؛ إذا أفرده وجعله واحداً[٢] . وهذا لا يتحقّق إلا بنفيٍ وإثبات؛ نفي الحكم عمّا سوى الموحَّد، وإثباته له . فنقول مثلاً في توحيد الألوهيَّة : لا يتمّ للإنسان التوحيد ، حتّى يشهد أن لا إله إلا الله ، فينفي الألوهيَّة عمّا سوى الله ، ويُثبتها لله وحده[٣] .

---

(١) أصول الدين عند الأئمة الأربعة للدكتور ناصر القفاري ص ١٤ .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ٤٤٨/٣ .

(٣) انظر المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٧/٢ .

فعلى هذا: يُطلق الواحد على المنفرد بخصائصه عمَّا سواه. يقول ابن فارس : (وَحَّدَ : الـــواو والحاء والدال : أصلٌ واحدٌ يدلّ على الانفراد . من ذلك : الوحدة، وهو واحدُ قبيلته: إذا لم يكن فيهم مثله . قال الشاعر :

يا واحدَ العُرْبِ الذي   ما في الأنام له نظير

ولقيتُ القومَ مَوْحَدَ مَوْحَدَ، ولقيتُ الرجلَ وحدَه. ولا يُضاف إلا في قوله: نسيجُ وَحْدِهِ)[١] .

والتوحيد في الاصطلاح : إفراد الله بما تفرَّد به ، وبما أمر أن يُفردَ به ؛ فنُفرده في ملكه وأفعاله فلا ربَّ سواه ولا شريك له، ونُفرده في ألوهيّته فلا يستحقّ العبادة إلاّ هو، ونُفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له[٢] .

مدى المطابقة بين التوحيد والعقيدة :

حـــين المقارنة بين "العقيـــدة" ، و"التوحيـــد" كمصطلحين ، نجد أنّ العقيدة ليست مقصـــورة على توحيـــد الله تعالى فحســـب ، بل هي تشمل التوحيد وزيادة ، فيدخل فيها مباحث شتّى ؛ كالرسل ورسالاتهم، والملائكة وأعمالهم ، والكتب السماويَّة ، واليوم الآخـــر وما فيه ، والقضاء والقدر وما يتعلّق به، والإمامة ، والصحابة . بل يدخل فيها أيضاً : موقف المسلمين من الفرق الضالّة ، وغير ذلك .

فهذا العلم الواسع بما يتضمَّنه من مباحث ، وما يحويه من جُزئيّات يُسمَّى "التوحيد" أيضاً، كما ســـمَّاه بذلك علماء المسلمين . ولو تأمَّلنا مدى المطابقة بين كلمة "توحيد" ، وبـــين مفردات العقيدة ، لوجدناها جُزئيَّة . وهذا يُثير تساؤلاً مفاده : إذا كانت المطابقة بـــين كلمة "توحيد" ومصطلح "عقيدة" بما يحويه من مباحث جُزئيَّة ، فلماذا سُمّي علم العقيدة بـــ"التوحيد" ؟ ولِمَ أطلق العلمـــاء في القرون الماضية على ما صنّفوه من كتب في علم العقيدة اسم "التوحيد" ؟

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/٩٠-٩١ .

(٢) انظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ١/٥٦ . والأسئلة والأجوبة الأصوليَّة للسلمان ص ٤١ .

والجـــواب : إنّ تسمية العقيدة بالتوحيد من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه ؛ لأنّ توحيد الله ﷻ هو أشرف مباحث علم العقيدة. أمَّا المباحث الأخرى؛ من إيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، ومباحث الإمامة، والصحابة، وغيرها، فهي تعتمد عليه ، وتستند إليه ؛ إذ هو أساسها وجوهرها ، فهي تدخل فيه بالاستلزام .

الفرق بين العقيدة والتوحيد :

والآن ، وقد فرغنا من بيان معنى العقيدة والتوحيد ، نتساءل : ما الفرق بين المعنيّين ؟

فنقول : العقيدة أعمُّ من جهة موضوعها؛ إذ هي تشمل التوحيدَ، وغيره من المباحث ؛ فيدخل فيها أركان الإيمان الستة، ويدخل فيها ردود علماء الإسلام على الديانات الأخرى، والفرق، والتيارات المعاصرة، وغيرها . بخلاف التوحيد الذي يقتصر على توحيد الله ﷻ، وهو أشرف أجزاء العقيدة . ويُلاحظ أيضاً أنّ مباحث الإيمان بالكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقضـــاء والقدر يدخل في إطار العقيدة بالمطابقـــة . أمَّا في التوحيد فيدخل فيه بالاستلزام ؛ إذ يلزم من إيمانك بالله ﷻ أن تؤمنَ بملائكته، وكتبه، ورسله، والمغيَّبات التي أخبر الله عنها، وأخبرت عنها رسله، وبالقدر الذي يُجريه الله في عباده وفق إرادته ومشيئته.

مؤلَّفات في العقيدة تحت مسمَّى التوحيد :

١- اســـتخدم الإمام البخاري ؛ محمَّد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـــ) هذا المصطلح، حين سمَّى الكتاب الذي خرَّج فيه أحاديث العقيدة —في الجامع الصحيح- بـــ"كتاب التوحيد" .

٢- وأبو العبَّاس أحمد بن عمر بن سُريج البغدادي (ت ٣٠٦هـــ) سمَّى الكتاب الذي صنَّفه في العقيدة بـــ"كتاب التوحيد" .

٣- وأبـــو بكر محمَّد بن إسحاق بن خُزَيمة النيسابوري (ت ٣١١هـــ) ألَّف كتاباً في العقيدة وَسَمَه بـــ"كتاب التوحيد وإثبات صفات الربّ ﷻ" .

٤- وأبو عبد الله محمَّد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥هـــ) ألَّف كتابه الموسوم بـــ"كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرُّد" .

ثمَّ تتابعت الكتب المؤلَّفة تحت هذا الاســـم .

الوقفة الثانية : مع مسمّى "أصول الدين" :

من مسمَّيات هذا العلم : أصول الدين .

المراد بأصول الدين :

نُلاحظ أنَّ مصطلح "أصول الدين" مركّب من مضافٍ ، ومضافٍ إليه . فهو إذاً مركّب إضافيّ .

ولا يُمكن التوصُّل إلى معنى المركّب إلاّ بتحليل أجزائه المركّب منها، وهي "أصول" ، و"دين" .

أمّا الأصول: فمفردها أصل. ومعناه لغةً: أساس الشيء[1]. أو ما يُبتنى عليه غيره ؛ كأساس المترل ، وأصل الشجرة ، ونحو ذلك[2] . والأصل اصطلاحاً : ما له فرعٌ ؛ لأنَّ الفرعَ لا ينشأ إلا عن أصلٍ[3] .

والدين في اللغة : الذلّ والخضوع . والمراد به دين الإسلام، وطاعة الله، وعبادته وتوحيده ، وامتثال المأمور ، واجتناب المحظور ، وكلّ ما يُتعَبَّدُ الله ﷻ به[4] .

فتكون أصول الدين -على هذا-: القواعد والأسس التي تصحّ بها العبادة، وتتحقّق بها طاعة الله ورسوله بامتثال المأمور، واجتناب المحظور؛ لأنَّ الاعتقاد هو الأصل الذي ينبني عليه قبول الأعمال وصحّتها .

فأصول الدين : هي ما يقوم وينبني عليه الدين . والدين الإسلاميّ يقوم على عقيدة التوحيد . ومن هنا سُمِّي علم التوحيد أو علم العقيدة بـ"علم أصول الدين" .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٠٩/١ . والمعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين ص ٢٠ .

(٢) انظر كشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١٢٢/١-١٢٣ .

(٣) انظر شرح الكوكب المنير لابن النجار ٣٨/١ .

(٤) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٥٤٦ .

الحقيقة الشرعيّة لأصول الدين :

المفهـــوم الحقّ لمصطلح أصول الدين، هو أصول الإيمان الستة المذكورة في قوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: من الآية١٧٧]، وفي قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمـــر:٤٩]، وهي التي أجابَ بها رسولُ الله ﷺ جبريلَ حين سأله عن الإيمان ، فقـــال : "الإيمانُ أن تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليومِ الآخرِ ، وتؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه"[١] . فهذه الأصول الستة هي التي يقوم عليها إيمان العبد ، وتصحّ بها عبادته .

مؤلّفات في العقيدة تحت مسمًّى "أصول الدين" :

لعـــلّ أوّل مـــن استخدم هذا المصطلح لعلم العقيدة -وإن لم يشـــتهر وقتها- ، هو الإمـــام الشـــافعي رحمه الله (ت ٢٠٤هـــ) ؛ حيث قال في مفتتح كتابه "الفقه الأكبر" : "هذا كتابٌ ذكرنا فيه ظواهر المسائل في أصول الدين ، التي لا بُدَّ للمكلّف من معرفتها ، والوقوف عليها .

١- وهـــذه التسمية استخدمها أيضاً الإمام أبو الحسن الأشعريّ (ت ٣٢٩هـــ)، حين وسم كتابه الذي أبان فيه عن عقيدة أهل السنة والجماعة بـــ"الإبانة عن أصول الديانة" .

٢- وكذا استخدمها أبوحاتم الرازي (ت ٣٢٧هـــ) في كتابه "أصل السنة والاعتقاد الدين" .

٣- ومن بعدهما عبيد الله بن محمَّد بن بطّة العُكبري (ت ٣٨٧هـــ) في كتابه: "الشرح والإبانة عن أصول الديانة" ، وهو الكتاب الذي يُعرف بـــ"الإبانة الصغرى" .

٤- وعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـــ) في كتابه "أصول الدين" . وغيرهم ...

ملاحظة : يُلاحظ أنَّ العقيدة -هاهنا- سُمِّيت بـــ"أصول الدين" تميـــيـــزاً لها عن الفروع.

وينبغـــي أن لا يَرِد على بالك أنَّ الأصول هي التي تؤخذ ويُعمل بها فحســـب ، ويُمكن الاستغناء عن الفروع . فهذا الفهم خطأ؛ لأنَّ الدين كُلٌّ لا يتجزَّأ . وقد عاب الله

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .

على أهل الكتاب أنّهم يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعضه الآخر، فقال: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:من الآية٨٥].

الوقفة الثالثة : مع مسمّى "السُّنّة" :

من مسمّيات العقيدة : السنّة .

تعريف السنّة لغة واصطلاحاً :

السنّة لغةً من سَنَّ يَسِنُّ ويَسُنُّ سَنًّا ، فهو مسنون . وسنَّ الأمر : بيَّنه . وهي تأتي لعدّة معان[1] ، منها :

١- الطريقة المسلوكة ، سواء أكانت محمودة أم مذمومة . ومنه قوله ﷺ : "من سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[2] .

٢- السيرة ، وسنَّة رسول الله ﷺ : سيرتُه التي كان يتحرَّاها . فما ثبت عنه من قولٍ ، أو فعلٍ ، أو وصفٍ، أو تقريرٍ، قيل له سنّة. يقول ابن الأثير : "وقد تكرَّر في الحديث ذكرُ السنَّة وما تصرَّف منها. والأصل منها : السيرة والطريقة"[3].

---

(١) انظر من كتب اللغة : الصحاح للجوهري ٥/١٢٣٨-١٢٤٠ . ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٦٠-٦١ . ولسان العرب لابن منظور١٣/٢٢٠-٢٢٨. والتعريفات للجرجاني ص١٦١. ومختار الصحاح للرازي ص٣١٧.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحثّ على الصدقة .

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٤٠٩ .

٣- العادة. ومنه قوله ﷻ: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الاسراء:٧٧]؛ أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم ، بخروج الرسول من بين أظهرهم ، يأتيهم العذاب[١] .

أمَّا السنَّة عند الأصوليِّين : فهي ما قاله رسول الله ﷺ ، أو فعله ، أو قرَّر عليه[٢] .

المناسبة بين مسمَّى السنَّة ، ومسمَّى العقيدة :

لأهميَّة وخطورة مسائل الاعتقاد التي هي أصل الدين ، وعليها يُبنى غيرها من أعمال الإسلام ، أطلق العلماء لفظ "السنَّة" على ما وافق الكتاب والسنَّة من قضايا الاعتقاد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ولفظ السنَّة في كلام السلف يتناول السنَّة في العبادات ، وفي الاعتقادات. وإن كان كثيرٌ ممَّن صنَّف في السنَّة يقصدون الكلام في الاعتقادات"[٣] .

ولمَّا كانت السنَّة مصدراً من مصادر العقيدة -كما سيأتي-، وطريقة من طرق إثبات العقيدة الصحيحة ، اعتبر العلماء معنى السنَّة : اتِّباع العقيدة الصحيحة ، وأطلقوا على عقيدة السلف الصالح اسمَ السنَّة، بسبب اتباعهم لطريقة رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ في ذلك .

يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله : "السنَّة: طريقة النبيِّ ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات . ثمَّ صارت في عرف كثيرٍ من العلماء من أهل الحديث وغيرهم ، السنَّة : عبارة عمَّا سلم من الشبهات في الاعتقادات ، خاصَّة في مسائل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وكذلك مسائل القدر، وفضائل الصحابة. وصنَّفوا في هذا العلم تصانيف، وسمَّوها كتب السنَّة"[٤] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٥٤/٣ .

(٢) انظر مذكرة في أصول الفقه للشيخ الشنقيطي ص ٩٥ .

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص ٧٧ .

(٤) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ص ١١-١٢. وانظر السنَّة لابن أبي عاصم ٦٤٥/٢-٦٤٧.

فإطلاق اسم السـنَّة على مباحث الاعتقاد، يُشعر بأهميَّة العقيدة؛ إذ هي أصل الدين، والمخالف فيها على خطرٍ عظيم[١] .

مؤلَّفات في العقيدة تحت مسمَّى "السنَّة" :

ساد اصطلاح السنَّة في القرن الثالث الهجري، في عصر إمام أهل السنَّة أحمد بن حنبل، حـين ظهرت الفرق ، وراجت عقائد المبتدعة . فأخذ العلماء يُطلقون على أصول الدين ومسـائل العقيدة اسم "السنَّة" تمييزاً لها عن مقولات الفـرق . وأذكر فيما يلي بعضاً من المصنَّفات التي كتبوها تحت مسمَّى السنَّة :

١- السنَّة لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) .

٢- السنَّة لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) .

٣- السنَّة للأثرم ؛ أبي بكر أحمد بن محمد بن هانئ البغدادي (ت ٢٧٣هـ) .

٤- السنَّة لأبي عليّ حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال (ت ٢٧٣هـ) .

٥- السنَّة لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) .

الوقفـة الرابعـة : مع مسـمَّى "الفقـه الأكبـر" :

من المسمّيات التي أُطلقت على العقيدة : الفقه الأكبر .

تعريف الفقه لغة واصطلاحاً :

الفقـه في اللغة : الفهم . يقول ابن فارس : "فَقِهَ : الفاء والقاف والهاء أصلٌ واحدٌ صـحيحٌ ، يدلّ على إدراك الشيء والعلم به . تقول : فَقِهْتُ الحديثَ أفْقَهُهُ . وكلّ علمٍ بشيءٍ فهو فقهٌ. ثمّ اختصّ بذلك علم الشريعة، فقيل لكلّ عالمٍ بالحلال والحرام: فقيه .."[٢] .

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٤٩ . والوصيَّة الكبرى لابن تيمية ص ٦٠ .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس٤/٢٤٢ . وانظر : لسان العرب لابن منظور١٣/٥٢٢ . والمفردات للراغب الأصفهاني ٣٨٤ .

ولقد كان الفقه يُطلق في القرون الأولى على العلم بأحكام الشريعة كلّها. ومنه قوله ﷺ : "مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين"(١) . وكذا دعاؤه ﷺ لابن عمّه ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- كان عامًّا في الدين كلّه ، لا في مسائل الحلال والحرام فحسب، في قوله :"اللهمّ فقّهْهُ في الدِّين وعلِّمْهُ التأويل"(٢) .

والملاحظ أنّ المتأخّرين خصّوا اسم "الفقه" بمعرفة مسائل الحلال والحرام ، وغيرها .

سبب تسمية العقيدة بالفقه الأكبر :

سمَّى العلماء العقيدة بالفقه الأكبر مقارنة بفقه الفروع . فقولنا "الفقه الأكبر" يُشعر بأنّ هناك فقهاً آخر ليس بأكبر ، وهو فقه ما أُطلق عليه اسم الفروع .

مؤلّفات في العقيدة تحت مسمّى "الفقه الأكبر" :

أوّل من استخدم مصطلح "الفقه الأكبر" هو الإمام أبو حنيفة ؛ النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ) ؛ فقد رُوي عنه كتابٌ بهذا الاسم ، وهو مشهورٌ عند أصحابه(٣)، بحث فيه رحمه الله بعض مسائل الاعتقاد .

وكذلك يُنسب للإمام الشافعيّ؛ محمَّد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) كتاب باسم "الفقه الأكبر"، عرض فيه مسائل الاعتقاد بالتفصيل(٤) .

ملاحظة : يَرِد على هذه التسمية ما ورد على تسمية "أصول الدين"؛ فقد يظنّ البعض أنّ تسمية العقيدة بالفقه الأكبر، يعني إهمال الفقه الآخر -مسائل الأحكام، والحلال والحرام- ؛ لأنّه أصغر مقارنة بالأكبر . وهذا الفهم غير صحيح ؛ لأنّ تسمية العقيدة بالفقه الأكبر يعني الاهتمام بها ، والبدء بتصحيحها قبل القيام بأداء الأعمال، ولا يعني -بحال- إهمال أداء الأعمال، ومعرفة أدلّتها التفصيليّة؛ لأنّ دين الإسلام كلّ لا يتجزّأ، ولا يُمكن الاستغناء عن بعضه ، والاكتفاء بالبعض الآخر .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من يُرد الله به خيراً يُفقه في الدين .

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ٢/٣٣١ ، وعزاه إلى معجم البغوي .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/٤٦ .

(٤) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/١٢٨٧ .

المسألة الثالثة

في بيان بعض المسمّيات التي أُطلقت على حملة العقيدة الإسلاميّة

عرفنا بعض المسمّيات التي أُطلقت على علم العقيدة الإسلاميَّة .

وثمّة مسمّيات أُطلقت على أهل العقيدة الصحيحة وحملتها. سأذكر بعضها في الوقفات التالية :

الوقفـــة الأولى : أهل السـنَّة والجماعة :

من المسمّيات التي أُطلقت على حملة العقيدة الصحيحة : أهل السنَّة والجماعة .

التعريف بأهل السنة والجماعة :

هذا المسمَّى يجمع وصفين اثنين لأصحابه ، وهما : السنَّة ، والجماعة .

والسنة قد تقدَّم معناها اللغويّ، وذكرنا أنّ العلماء يُعرِّفونها اصطلاحاً بأنّها: ما نُقِل عن رسول الله ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو وصفٍ أو تقرير[1] .

والسنَّة قد تُطلق على ما يُقابل البدعة ، كقولهم : طلاق السنَّة كذا ، وطلاق البدعة كذا ، وفلانٌ على سنَّة -إذا وافق التنـزيل والأثر في القول والفعل- ، وفلانٌ على بدعة -إذا عمل خلاف ذلك-[2] . وهاتان الكلمتان -السنّة والبدعة- تُستعملان دائماً ككلمتين متضادّتين ؛ لأنّ السنَّة هي الطريق التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ ، والبدعة هي ترك تلك الطريق والانحراف عنها .

وقـد ورد في الأثـر ذكرُ السنَّة مقابلَ البدعة؛ من ذلك ما قاله رسول الله ﷺ : "ما أحـدثَ قومٌ بدعةً، إلا رُفِعَ مثلها من السنَّة"[3] . وما قاله ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- :

---

(١) انظر ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) انظر مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل ص ٢٩ .

(٣) مسند أحمد ١٠٥/٤ ، وحسّنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢٥٣/١٣ .

"مـــا يأتي على النَّاس من عام إلا أحدثوا فيه بدعةً ، وأماتوا فيه سنَّةً ، حتى تحيى البدعُ ، وتموت السنن"(١) .

فالســـنَّة بهذا المعنى ، تشمل ما كان عليه رسول الله ﷺ ، وخلفاؤه الراشدون ﷺ ، وصحابته الكرام ﷺ من الاعتقادات ، والأعمال ، والأقوال .

أمَّـــا الجماعة في اللغة : فهي مأخوذة من الجمع ؛ وهو ضمّ الشيء بتقريب بعضه من بعض ؛ يُقال : جَمَعْتُهُ فاجْتَمَعَ . قال ابن فارس : "الجيم والميم والعين أصلٌ واحدٌ ، يدلّ على تضامّ الشيء ...."(٢) . والجماعة : العدد الكثير من النَّاس، أو القوم المجتمعون على أمرٍ ما، أو طائفة يجمعهم غرضٌ واحدٌ(٣).

والجماعة شرعاً هم : الرسول ﷺ ، وأصحابه ﷺ، والتابعون، وتابعوهم بإحسان(٤) .

وأهل الشيء هم : أخصّ النَّاس به. يقول أهل اللغة : أهلُ الرجل : أخصّ النَّاس به، وأهل البيت : سُكَّانه ، وأهل الإسلام : من يدين به ، وأهل المذهب : من يدين به(٥) .

وبإمكاننا بعدما علمنا معنى أهل ، والسنَّة ، والجماعة، أن نُعرِّف أهل السنة والجماعة بأنَّهم المتّبعون لمنهج الرسول ﷺ وأصحابه في الأصول والفروع(٦) .

وقيل: هم مَنْ كان على مثلِ ما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه اعتقاداً وقولاً وفعلاً؛ لأنّ رســـول الله ﷺ سُـــئل عن الفرقة الناجية، فأجاب مرّة بأنَّها ما كان عليه هو وأصحابه، وأخرى قال : هي الجماعة(٧) .

---

(١) أخرجه ابن وضَّاح القرطبي في كتابه : البدع والنهي عنها ص ٤٥ .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٧٩/١ .

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور ٥٣/٨-٦٠ .

(٤) انظر مفهوم أهل السنة والجماعة للعقل ص ٥٤ .

(٥) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٠/١ .

(٦) انظر : الاعتصام للشاطبي ٢٨/١ . وشرح العقيدة الواسطيَّة للهرّاس ص ١٦-١٧ .

(٧) الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب شرح السنَّة. وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم. وابن أبي عاصم في السنة ٣٢/١-٣٣، تحت الأرقام ٦٣، ٦٤، ٦٥. وقال الألباني في تعليقه على الحديث : "والحديث صحيح قطعاً ؛ لأنّ له ستّ طرق أخرى عن أنس ، وشواهد عن جمع من الصحابة" (٤٢/١) .

وقيــل : "هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنّة النبيّ ﷺ ، والعمل بها ظاهراً وباطناً في القول والعمل والاعتقاد"(١) .

ملاحظة : لا يقصد بالجماعة هنا مجموع النّاس وعامّتهم، ولا أغلبهم ، ولا سوادهم ، ما لم يجتمعوا على الحقّ؛ لأنّ الجماعة هي التمسُّك بالكتاب والسنَّة، ولو كنتَ وحدك، كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ : "إنّما الجماعة ما وافق طاعة الله ، وإن كنتَ وحدَك"(٢) .

يقول عبدالرحمن بن إسماعيل ، المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ): "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحقّ واتباعه، وإن كان المتمسّك به قليلاً، والمخالف كثيراً ؛ لأنّ الحقّ الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبيّ ﷺ وأصحابه ﷺ ، ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم"(٣) .

الوقفــة الثانيــة : السَّـــلَف :

من المسمّيات التي أُطلقت على حملة العقيدة الصحيحة : السلف .

التعريف بهم :

السَّلَف في اللغة : جمع سَالِف ، والسالف: المتقدِّم . والسلف: الجماعة المتقدِّمون(٤) .

قال ابن فارس : "سَلَفَ : السين واللام والفاء أصلٌ يدلّ على تقدّم وسَبْقٍ. من ذلك : السلف الذين مضوا ، والقوم السُّلاَّف : المتقدِّمون .."(٥) .

فالسَّلف –إذاً– من سَلَف يَسْلِفُ سَلَفاً وسُلوفاً : أي تقدَّم(٦) .

---

(١) انظر : رسائل في العقيدة ص ٥٣ ، والمجموع الثمين ٣/٣ ، وكلاهما لفضيلة الشيخ ابن عثيمين .

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٠٩/١ .

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٣٤ .

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور ١٥٨/٩ .

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٥/٣ .

(٦) انظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٣٩ . والوجوه والنظائر لألفاظ القرآن للدامغاني ص ٢٤٣ .

وسَلَف كلّ إنسان: مَنْ تقدَّمه من آبائه وذوي قرابته الذين هم فوقه في السنّ والفضل، وأحدهـــم سالف[١]. وقيل: من تقدَّمه بالموت من آبائه وذوي قرابته. ولهذا سُمِّي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح[٢] . هذا عن السلف في اللغة .

أمَّا السلف في الاصطلاح : فقد اختلف العلماء في تحديد المراد بهم، نتيجة اختلافهم في تحديد الزمن الذي يُنسبون إليه ، إلى عدّة أقوال :

١- القول الأول : أنّهم الصحابة ﷺ فقط. وهو قول عددٍ من شُرَّاح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني[٣].

٢- القول الثاني : أنّهم الصحابة والتابعون. وممّن ذهب إلى هذا أبو حامد الغزالي، حين قال: "اعـــلم أنّ الحقّ الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر، هو مذهب السلف؛ أعني مذهب الصحابة والتابعين"[٤] .

٣- القول الثالث : أنّهم الصحابة، والتابعون، وتابعوا التابعين؛ أي القرون الثلاثة التي أثبت لها رسول الله ﷺ الخيريَّة بقوله : "خير النَّاس قرني ، ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الذين يلونهم"[٥] . وإلى هذا القول ذهب عددٌ كبيرٌ من أهل العلم؛ كالإمام الشوكاني ، والإمام السفاريني ، وغيرهما[٥] .

ملاحظة :

يُلاحـــظ عـــلى هذه الأقوال جميعها أنّها تُدخل من كان في القرون الأولى في مسمَّى السلف . ولكن ليس كلّ من كان في ذلك الزمن يُسمَّى سلفيًّا، إذ المعروف أنّ الفرق ظهرت

---

(١) انظر معالم التنـــزيل للبغوي ١٤٢/٤ .

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٩٠/٢ .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي ص ٥٣ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ .

في القرون الأولى ، فـ"ليس السبق الزمنيّ كافياً في تعيين السلف ، بل لا بُدّ أن يُضاف إلى هـذا السبق الزمنيّ موافقة الرأي للكتاب والسنَّة نصًّا وروحاً . فمن خالف رأيُه الكتابَ والسنَّةَ ، فليس بسلفيّ ، وإن عاش بين ظهرانيّ الصحابة والتابعين"[١] .

ويصحّ أن يُضاف إلى أهل القرون المفضَّلة الموافقين للكتاب والسنَّة ، مَنْ وافق الكتاب والسنَّة ، ونهج نهج أولئك الكرام ، واتّبع آثارهم ومرويّاتهم الصحيحة التي أبانوا بها الحقّ . فلا شكّ أنّه داخلٌ في مفهوم هذه الكلمة "السلف" . ولقد وُفّق الإمام السفارينيّ رحمه الله حين حدّد مذهب السلف بأنّه "ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم ، وأئمّة الدين ممَّن شُهِد له بالإمامة ، وعُرِف عِظَم شأنه في الدين ، وتلقّى النَّاس كلامهم خلفاً عن سلف ، دون مَنْ رُمِيَ ببدعة، أو شُهِرَ بلقبٍ غـير مرضيّ ؛ مثل : الخوارج، والروافض ، والقدريَّة ، والمرجئة ، والجبريَّة ، والجهميَّة ، والمعتزلة ، والكراميَّة ، ونحو هؤلاء..."[٢] .

إذاً : ليس المراد بالسلف أهل القرون المفضَّلة فحسب ، بل يدخل فيهم كلّ من وافق الكتاب والسنَّة ، ونهج منهج الصحابة ﷺ .

مفهوم الخلف عند علماء السَّلف :

الخـلف في الـلغة هو من جاء خَلْف المتقدِّم ، سواء أكان تأخُّرُه في الزمن ، أو في الرتبة[٣] .

وإذا أُطلقت كلمة "الخلف" في مقابل كلمة "السلف" يُراد بها : "مَنْ رُمِي ببدعةٍ ، أو شُهِر بلقبٍ غير مرضي"[١] ، كما تقدَّمت عبارة الإمام السفاريني في ذلك . فمن انحرف عن الكتاب والسنَّة ، ومال عن طريقة الصحابة ﷺ، فلم يتخذها منهجاً له ، فهو خلفيّ ، وإن عاش بين ظهراني الصحابة .

---

(١) بتصرُّف من كتاب : الإمام ابن تيمية وقضيَّة التأويل للدكتور الجليند ص ٥٢ .

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ١/٢٠ .

(٣) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٠٤٢-١٠٤٣ .

الوقفـــة الثالثـــة : أهـــل الحـــديث :

من المسمّيات التي أُطلقت على حملة العقيدة الصحيحة : أهل الحديث .

التعريف بهم :

الحديث في اللغة : ضدّ القديم . ويُستعمل في كثير الكلام وقليله[١] .

وهو في الاصطلاح : ما أُثِرَ عن النبيّ ﷺ من قولٍ ، أو فعلٍ ، أو تقريرٍ ، أو صفة[٢] .

وأهل الحديث: هم المنسوبون إليه بسبب اتّباعهم له ؛ فهم كلّ من جعل كلامَ رسولِ الله ﷺ مصدراً من مصادر التلقّي، يستفيدون منه عقائد الإسلام الصحيحة، ويَبْنُون عليه، سواء أكانوا علماء حديث ، أو فقه ، أو أصول ، أو سوى ذلك .

يقـــول الإمام الصابونيّ (ت ٤٤٩هـــ) : "إنّ أصحاب الحديث المتمسّكين بالكتاب والسنَّة ، حفظ الله أحياءهم ، ورحم أمواتهم .."[٣] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـــ) : "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين عـــلى سماعـــه، أو كتابته، أو روايته، بل نعني بهم : كلّ من كان أحقّ بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً . وكذلك أهل القرآن"[٤] .

فأهل الحديث هم الذين اتبعوا آثار الصحابة ﷺ ، والتابعين لهم بإحسان، وكان لهم عـــناية خاصَّة بأحاديث رسول الله ﷺ : جمعاً ، وحفظاً ، ورواية ، وفهماً ، وعملاً في الظاهر والباطـــن .

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ٢١٤ .

(٢) انظر الحديث النبويّ للدكتور محمد الصبّاغ ص ١٤٠ .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابونيّ ص ٣-٤ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/٩٥ .

المبحث الثاني
مصادر العقيدة الإسلاميّة

العقيدة الإسلاميَّة لها مصدران فقط ، هما : كتاب الله ﷻ ، وما صحَّ من سنَّة رسول الله ﷺ .

وليس للعقيدة مصدرٌ ثالث ؛ لأنّ إجماع السلف الصالح لا يكون إلا على الكتاب والسنَّة[١] .

يقول الإمام البيهقيّ (ت ٤٥٨هـ) : "فأمَّا أهل السنَّة ، فمعوّلهم فيما يعتقدون : الكتاب والسنَّة"[٢] .

ويقول العلامة صديق حسن خان رحمه الله : "للإسلام أصلان فقط ؛ القرآن ، والسنَّة الصحيحة"[٣] . ويُعقِّب على ذلك بقوله : "وإنَّما حصرنا الأصول في كتاب الله تعالى ، وسنَّة الرسول ﷺ ؛ لأنَّ الأمَّة مأمورةٌ بهما"[٣] .

وما على الأمَّة إلا الاعتصام بما أُمِرَت بالاعتصام به؛ كتاب ربِّها، وسنَّة نبيِّها ﷺ؛ إذ الاعتصام بهما سببٌ للعصمة من الوقوع في الخطأ والانحراف والزلل، وسببٌ للعصمة من الوقوع في الاضطراب في فهم العقيدة ، ولأنَّه يُجمِّع الأمَّة ولا يُفرِّقها . يقول الله ﷻ : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[طـه من آية ١٢٣].

ولا ريب أنّ الاعتصام بالكتاب والسنَّة من أعظم ما منَّ الله به على هذه الأمَّة ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديثه عن السلف الصالح : "وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم : اعتصامهم بالكتاب والسنَّة"[٤] .

---

(١) انظر الاعتصام للشاطبيّ ٢/٢٥٢ .

(٢) مناقب الإمام الشافعيّ للبيهقي ص ٤٦٢ .

(٣) الدين الخالص لصديق حسن خان ٣/٣٦ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٣/٢٨ .

منزلة العقل ومجالاته في الإسلام :

الله ﷻ امتنَّ على الإنسان بنعمة العقل الذي ميَّزه به عن سائر الحيوانات . وهذه النعمة هي التي ترفع صاحبها إلى مستوى التكاليف الشرعيَّة الإلهيَّة ، وتؤهِّله لإدراكها وفهمها[١] .

وليس ثمّة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنسانيّ ، وتكريمه ، والاعتماد عليه في فهم النصوص كالعقيدة الإسلاميَّة ، ويبدو هذا واضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله ، مَدَحَ الله ﷻ فيها العقل ، ورفع من شأنه ، من خلال توجيهه إلى النظر ، والتفكُّر، والتدبُّر ، والتأمُّل[٢] .

ولكن لـمَّا كان للعقول في إدراكها حدّ تنتهي إليه لا تتعدَّاه ، لم يجعل الله لها سبيلاً إلى الإدراك في كلّ مطلوب[٣]؛ فلم يجعل لها سبيلاً لإدراك أغلب مسائل الاعتقاد؛ إذ لا يُمكن للعقول أن تستقلّ بمعرفتها لولا مجيء الوحي بها وبأدلتها العقليَّة . وما على العقول إلاّ فهمُها وتدبُّرها .

وأيضاً ، فإنّ كثيراً من مسائل الاعتقاد لا تُدرك العقول حقيقتها وكيفيّاتها ، ولو فهمت أدلّتها وتدبّرتها ؛ كالروح التي في أجسادنا : عَسُرَ على النَّاس التعبير عن حقيقتها لمّا لم يشهدوا لها نظيراً[٤] . وكذا صفات ربّنا ﷻ ، رغم أنّنا فهمنا معانيها بعقولنا من اعتبار الغائب بالشاهد، إلاّ أنّ حقيقتها وكيفيّاتها لا تُدركه عقولنا؛ لأنّ العلم بكيفيّة الصفة يستلزم العلم بكيفيّة الموصوف . والموصوف ﷻ ليس كمثله شيء؛ فهو متّصفٌ بصفات الكمال التي لا يُماثله فيها شيء[٥] . وكذا ما أخبر الله ﷻ عنه من أمور الآخرة ؛ كالجنَّة ونعيمها ، والنّار وجحيمها ، وغير ذلك من المغيّبات ، ليست من مدارك العقل ، ولا في متناوله ، مع أنّ العقل يُقرّ بها ، ولا يُحيلها[٦] .

---

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١/١٥٠ .

(٢) انظر النبوات لابن تيمية ص ١٨٩ .

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي ٢/٣١٨ .

(٤) انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٢٠٢ .

(٥) انظر الرسالة التدمريّة لابن تيمية ص ٤٤-٤٥ .

(٦) انظر المصدر نفسه ص ٤٦ .

وإذا كان كذلك، فالعقل مُطالَبٌ بالتسليم للنصوص الشرعيَّة الصريحة، ولو لم يفهمها ، أو يُدرك الحكمة التي فيها ؛ فالأمر ورد بقبولها والإيمان بها . فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين، وعقلناه ، وفهمناه ، فمن الله التوفيق ، وله الحمد والشكر على ذلك . وما لم نُدركه أو نفهمه ، آمنَّا به وصدَّقناه[1] .

درء تعارض العقل الصحيح والنقل الصريح :

بقي أن نتساءل : هل يتعارض العقل الصحيح –السليم من الشبهات والأهواء– مع النص الصحيح الصريح ؟ والجواب : تعارض النصّ الصريح من الكتاب والسنَّة مع العقل الصحيح غير متصوّر أصلاً، بل هو مستحيل . فإذا تُوهِّم التعارض بسبب عدم فهمٍ للنقل، أو فسادٍ في العقل ، فإنّ الوحي مقدَّم ومحكَّم . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فيأخذ المسلمون جميعَ دينهم –من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك– من كتاب الله ، وسنَّة رسوله ، وما اتّفق عليه سلف الأمّة وأئمّتها . وليس ذلك مخالفاً للعقل الصريح ؛ فإنّ ما خالف العقل الصريح فهو باطل . وليس في الكتاب والسنّة والإجماع باطل . ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعضُ النّاس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم ، لا من الكتاب والسنَّة"[2] .

---

(١) انظر صون المنطق والكلام للسيوطي ص ١٨٢ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٩٠/١١ .

المبحث الثالث

من خصائص العقيدة الإسلاميّة

التعريف بـ"خصائص" :

الخصائص جمع خِصِّيصة . يُقال : خصَّهُ بالشيء خَصًّا وخُصُوصاً وخَصُوصِيَّة ، وخِصِّيصى . واختصَّه بكذا ؛ أي خصَّه به ، فاختصَّ ، وتَخَصَّص ، أي تفرَّد[1] .

والخِصِّيصة : هي الصفة البارزة المميِّزة . فإذا قلنا : خصائص العقيدة ، فمرادنا : صفاتها البارزة التي تنفرد بها ، وتُميِّزها عن بقية العقائد .

وللعقيدة الإسلامية سمات بارزة تميّزها عن بقية العقائد ، سأقتصر على ذكر بعضها .

ولبيان هذه الخصائص ، قسَّمتُ هذا المبحث إلى أربع مسائل :

المسألة الأولى : أنّها توقيفيَّة .

المسألة الثانية : أنّها غيبيَّة .

المسألة الثالثة : التكامل والشمول .

المسألة الرابعة : أنّها وسطيَّة .

المسألة الأولى

من خصائص العقيدة الإسلاميَّة : أنّها توقيفيَّة

معنى التوقيف في اللغة :

التوقيف لغةً مأخوذة من الوَقْف . يُقال : وَقَفَ الدار ، إذا حَبَسَها . والتوقيف في الحَجِّ : وقوف النَّاس في المواقف . ومَوْقِف الرجل : وقوفه في أيِّ مكانٍ حيث كان[2] .

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري ١٠٣٧/٣ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٧٩٦ .

(٢) انظر المصدران السابقان ١٤٤٥/٤ ، ص ١١١٢-١١١٣ .

المراد من كون العقيدة الإسلاميَّة توقيفيَّة :

المراد من كون العقيدة توقيفيَّة : أنَّ رسول الله ﷺ قد أوقف أُمَّته على مباحث العقيدة، فلم يترك لهم شيئاً إلا بيَّنه[1]. فيجب على الأمَّة أن تقف عند الحدود التي حدَّها وبيَّنها[2].

ما الذي يلزم من كون العقيدة توقيفيَّة :

لقد بيَّن رسول الله ﷺ العقيدة بالقرآن والسنَّة ، فما ترك منها شيئاً إلا بيَّنه . ويلزم من هذا :

١- أن نُحدِّد مصادر العقيدة ، بأنَّها الكتاب والسنَّة فقط .

٢- أن نلتزم بما جاء في الكتاب والسنَّة فقط. فليس لأحد أن يُحدثَ أمراً من أمور الدين، زاعماً أنَّ هذا الأمر يجب التزامه أو اعتقاده ؛ فإنَّ الله ﷻ أكمل الدين ، وانقطع الوحي، وخُتِمَت النبوّة، يقول تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : من الآية٣] ، ويقول ﷺ : "مَنْ أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ"[3] . وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وأصلٌ من أصول العقيدة[4] .

٣- أن نلتزم بألفاظ العقيدة الواردة في الكتاب والسنَّة ، ونتجنَّب الألفاظ المحدَثة التي أحدثها المبتدعة ؛ إذ العقيدة توقيفيَّة ، فهي مما لا يعلمه إلا الله[5] .

---

(١) انظر : مباحث في عقيدة أهل السنة للعقل ص ٣٨ . والمدخل لدراسة العقيدة للبريكان ص ٦٢ .

(٢) انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميريَّة ص ٣٨٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور ، فالصلح مردود .

(٤) انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل ص ٣٩ .

(٥) انظر المرجع نفسه .

المسألة الثانية

من خصائص العقيدة الإسلاميّة : أنّها غيبيّة

معنى الغيب في اللغة :

الغيبُ لغةً : من غابَ غَيْباً ، وغَيْبَةً ، وغَيْبُوبَةً ، وغياباً ، خلاف شَهِدَ وَحَضَرَ. يُقال : غـابتِ الشمسُ ، إذا غَرَبَت واسْتَتَرَت عن العين . والغَيْبُ : كلُّ ما غاب عنك ، وهو خلاف الشهادة(١) .

المراد من كون العقيدة الإسلاميّة غيبيّة(٢) :

١- أنّها تبحث في قضايا غيبيَّة لا مجال للعقل في إدراكها ، ومبناها على التسليم والتصديق المطلق بما جاء عن الله ﷻ، وعن رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً. (بعض قضايا العقيدة غيب) .

٢- أنَّ أهلها يقفون في أمرها على ما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ، فهم يؤمنون بالغيب. وقد وصفهم الله ﷻ بذلك في قوله: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:١-٣] .

ما الذي يلزم من كون العقيدة الإسلاميّة غيبيّة :

لَمّا كانت أغلب قضايا العقيدة غيبٌ بالنسبة لنا ، لَزِمنا كمؤمنين بالغيب :

١- أن نُسَلِّم لله ﷻ ، ولرسوله ﷺ . والتسليم لله ولرسوله يتمثّل في التسليم بما في الكتاب والسنّة .

٢- أن لا نخوض ولا نُجادل في العقيدة ونصوصها –لأنّها غيبٌ– إلا بقدر البيان ، وإقامة الحجّة، مع التزام منهج السلف في ذلك(٣) .

٣- أن لا نُؤوِّل نصـوص العقيدة ، ولا نصرفها عن ظاهرها بغير دليلٍ شرعيّ ثابت عن المعصوم ﷺ .

---

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٥٥ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلّفين ص ١٦٧ .

(٢) انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل ص ٣٠ ، ٣٩ .

(٣) انظر : الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص ١٢٣-١٢٧ . والشريعة للآجريّ ص ٥٤-٦٧ .

المسألة الثالثة

من خصائص العقيدة الإسلاميّة : أنّها شموليّة

معنى الشمول في اللغة :

يُقال : شَمِلَ الأمرُ القومَ شَمْلاً، إذا شَمَلَهُم . واشْتَمَلَ بالثوبِ ، إذا أداره على جسده كلّه ، حتّى لا تخرج منه يده . واشْتَمَلَ على كذا ، أي احتواه وتضمّنه[1] .

المراد من كون العقيدة شموليّة :

أنّها لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتت بإيضاحها، ووضعت لها نظاماً بأروع إحكام ، وأتقن بيان؛ فقد أحاطت وهيمنت على الأعمال، والأقوال، والسلوك، وكلّ أمور الحياة .

ولا يتمّ إيمان العبد إلا عندما يُخضع كلّ أمور حياته لهذا الدين .

مظاهر شموليّة العقيدة[2] :

لم تُغفل العقيدة الإسلاميَّة أمراً من أمور الدين والدنيا إلا أتت عليه بالبيان والإيضاح التامَّيْن ؛ فالله ﷻ ما فرَّط في الكتاب من شيء، ورسوله ﷺ بيَّن لأمَّته جميع ما يحتاجون إليه . ومن مظاهر هذه الشموليَّة :

١- أنّها أعطت الإنسان تصوّراً كاملاً عن الكون الذي يحيا فيه .

٢- أنّها تناولت كلّ القضايا التي بها تستقيم حياة الإنسان .

٣- أنّها أحاطت بالإنسان كلّه من حين ولادته، حتى وفاته . بل قبل ولادته، وبعد وفاته؛ قبل أن يتزوَّج أبوه أمَّه ، وحتى يستقر في الجنَّة ، أو يدخل النَّار -عياذاً بالله- .

---

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٣١٩ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٤٩٤-٤٩٥ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب: المدخل لدراسة العقيدة الإسلاميّة للدكتور إبراهيم البريكان ص ٦٩-٧٢.

المسألة الرابعة

من خصائص العقيدة الإسلاميّة : أنّها وسطيّة

معنى الوسط في اللغة :

يأتي الوسط لغةً لعدّة معان :

١- ما كان بين طرفَي الشيء، وهو منه . كقولك : كسرتُ وَسط الرّمح ، جلستُ وسط الدّار ، جئتُ وسط النّهار[١] . ومنه قول سَوَّار بن المضَرَّب :

إنّي كأنّي أرى مَنْ لا حياءَ له ... ولا أمانةَ وَسْطَ النّاس عُرْيانا

٢- يأتي صفة ، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود. فأوسط الشيء : أفضله وخياره . والفردوس أفضل الجنّة ، وهو أعلاها ، ووسطها . ومرعى وسط : أي خيار . ومنه قالت العرب : "وسط المرعى خيرٌ من طرفيه" . وواسطة القلادة : هي الجوهرة التي تكون في وسطها ، وهي أجودها[٢] .

٣- ويأتي وسط بمعنى عَدْل . فالوسط من كلّ شيء : أعدله[٣] .

والملاحظ على الوسط أنّه في كلّ معانيه اللغوية لا يخرج عن العدل، والفضل، والخيريَّة .

المراد من كون العقيدة وسطيّة :

يُراد من قولنا عن العقيدة : إنّها وسطيّة : أنّها :

١- أفضل العقائد ، وخيارها .

٢- أعدل العقائد .

٣- لا إفراط ولا تفريط فيها .

---

(١) انظر : بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢١٠/٥ . ولسان العرب لابن منظور ٤٢٦/٧-٤٢٨ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ١١٦٧/٣ .

(٣) انظر : بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢٠٩/٥ . وتاج العروس للزبيدي ٢٣٨/٥ .

من مظاهر وسطيَّة العقيدة الإسلاميَّة :

لا يستطيع الإنسان أن يتحدَّث في صفحات محدودة ، بل ولا مجلّدات عن مظاهر وسطيَّة العقيدة الإسلاميَّة ؛ لأنَّ ذلك أكثر من أن يُحصر ؛ فالأمَّة الإسلاميَّة هي خير أمَّة أُخرجت للنَّاس ، ورسولها ﷺ أفضل رسول ، وكتابها القرآن الكريم أفضل الكتب ، وآخرها ، والمهيمن عليها . فهي خيارٌ في خيار .

ولي وقفتان ، أتحدَّث من خلالهما عن مظاهر وسطيَّة عقيدة هذه الأمَّة الوسط .

الوقفة الأولى : وسطيَّة أُمَّة الإسلام بين الأمم الأخرى :

بدت وسطيَّة أمَّة الإسلام بين الأمم الأخرى في الأمور التالية :

١ - في توحيد الله ﷻ ، وصفاته : فهي وسطٌ بين اليهود والنصارى ؛

بين اليهود الذين وصفوا الربَّ ﷻ بصفات النقص التي يختصّ بها المخلوق، وشبَّهوه به؛ فقالوا : إنَّه بخيلٌ ، وفقيرٌ ، وأنَّه يتعب فيستريح ، وأنَّه يتمثَّل في صورة البشر ، وغير ذلك(١) .

وبين النصارى الذين وصفوا المخلوق بصفات الخالق ﷻ؛ فشبّهوه به، وقالوا : إنَّ الله هو المسيح بن مريم ، وإنَّ المسيح ابن الله ، وإنَّه يخلق ، ويرزق ، ويغفر، ويرحم، ويُثيب ، ويُعاقب، .. إلخ(٢) .

وبينهما ظهرت وسطيَّة المسلمين الذين وحّدوا الله ﷻ ، فوصفوه بصفات الكمال ، ونزّهوه عن جميع صفات النقص ، وعن مماثلته لشيء من المخلوقات في شيء من الصفات ، وقالوا : إنَّ الله ليس كمثله شيء في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله(٣) .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب : وسطية أهل السنّة للدكتور محمد باكريم ص ٢٣٨ ، ٢٤٤-٢٤٩ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٢٣٨ ، ٢٤٩-٢٥٧ .

(٣) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٦٨/٥-١٦٩ .

٢- في أنبياء الله ﷺ ، ورسله : فهي وسطٌ أيضاً بين اليهود والنصارى ؛

بين اليهود الذين قتلوا الأنبياء ، ورمَوهم بكلّ شين ونقيصة ، وجفوهم ، واستكبروا عن اتباعهم .

وبين النصارى الذين غلَوا في بعضهم ، فاتخذوهم أرباباً من دون الله ، واتخذوا المسيح عليه السلام إلهاً[١] .

وبينهما ظهرت وسطيَّة المسلمين الذين أنزلوا الأنبياء منازلهم ، وعزّروهم، ووقّروهم ، وصدّقوهم ، وأحبّوهم، وأطاعوهم ، وآمنوا بهم جميعاً عبيداً لله ﷺ ، ورسلاً مبشّرين ومنذرين . و لم يعبدوهم ، أو يتخذوهم أرباباً من دون الله ؛ فهم لا يملكون ضرًّا ولا نفعاً ، ولا يعلمون الغيب[٢] .

٣- في الشرائع : فهي وسطٌ أيضاً بين اليهود والنصارى ؛

فاليهود منعوا أن يبعث الخالق ﷻ رسولاً بغير شريعة موسى عليه السلام ، وقالوا : لا يجوز أن ينسخ الله ما شرعه ، أو يمحو ما يشاء ، أو يُثبت ما يشاء .

والنصارى جوَّزوا لأحبارهم ورهبانهم أن يُغيِّروا دين الله؛ فيحلّوا ما حرّم ﷻ، ويُحرِّموا ما أحلّ[٣] .

أمَّا المسلمون، فقالوا: لله الخلق والأمر؛ يمحو ما يشاء، ويُثبتُ ما يشاء، والنسخ جائزٌ في حياته ﷺ ، أمَّا بعد وفاته ﷺ فليس لمخلوقٍ أن يُبدِّل أمر الخالق ﷻ مهما بلغت منزلته ، أو عَظُم قدره .

٤- في أمر الحلال والحرام ، فهي وسطٌ أيضاً بين اليهود والنَّصارى ؛

فاليهود حُرِّم عليهم كثيرٌ من الطيِّبات ، منها[٤] :

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب : وسطية أهل السنَّة للدكتور محمد باكريم ص ٢٣٨ ، ٢٦٠-٢٧٧ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص٢٣٨، ٢٧٧-٢٨٤. وانظر في معنى التعزير: الصارم المسلول لابن تيمية ص٤٢٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٣٩ .

(٤) انظر وسطية أهل السنَّة للدكتور محمد باكريم ص ٢٤٠ .

أ- ما حرَّمه إسرائيل؛ يعقوب ﷺ على نفسه، كما حكى تعالى ذلك عنه بقوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾ [آل عمران: من الآية٩٣] .

ب- ما حرَّمه الله ﷻ عليهم جزاء بغيهم وظلمهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٠] .

والنصارى أسرفوا في إباحة المحرَّمات ؛ فأحلُّوا ما نصَّت التوراة على تحريمه ، ولم يأت المسيح ﷺ بإباحته ؛ فاستحلُّوا الخبائث ، وجميع المحرَّمات ؛ كالميتة ، والدم ، ولحم الخنزير[١] .

أمَّا المسلمون : فقد أحلُّوا ما أحلَّ الله لهم في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ من الطيِّبات ، وحرَّموا ما حُرِّم عليهم من الخبائث ؛ كما قال الله عنهم: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف آية١٥٧]

٥- في العبادة ، فهي وسطٌ بين اليهود والنصارى أيضاً ؛

فاليهود علموا ، ولم يعملوا ، فهم المغضوب عليهم ؛ أعرضوا عن العبادات ، واستكبروا عن طاعة الله ، واتبعوا الشهوات ، وعبَّدوا أنفسهم للمادة ، فاشتغلوا بدنياهم عن دينهم وآخرتهم[٢] .

والنصارى لم يعلموا ، وعبدوا الله على جهالة ، فهم الضالُّون ؛ غلوا في الرهبنة ، وتعبَّدوا ببدعٍ ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فاعتزلوا النَّاس في الصوامع ، وانقطع رهبانهم للعبادة في الأديرة ، وألزموا أنفسهم بما لم يُلزمهم به الله ، ممَّا يشقّ على النفس والجسد ، ويُغالب الفطرة البشريَّة ويُضادّها ، فلم يستطيعوا الوفاء بذلك، كما حكى الله عنهم : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد: من الآية٢٧] .

---

(١) انظر كتاب الصفديَّة لابن تيمية ٣١٣/٢ .

(٢) انظر وسطية أهل السنَّة للدكتور محمد باكريم ص ٢٤٠ .

أمّـــا الأمَّة الوسط: فقد علموا، وعملوا، فهم الذين أنعم الله عليهم؛ عبدوا الله وحده بما شرع ، لم يعبدوه بالأهـــواء والبدع[١] ، و لم ينسوا نصيبهم وحظوظهم في الدنيا[٢] ، وقدوتهم في ذلك رسولهم ﷺ .

الوقفـــة الثانيـــة : وســـطيَّة أهل السنَّة والجماعة بين الفرق الضالَّة :

تقدَّم الحديث عن جوانب من وسطيَّة أمَّة الإسلام بين الأمم .

ولقد كان أسعد هذه الأمَّة بهذه الخيريَّة ، أسعدها باتباع الكتاب والسنَّة ، وأحرصها على هديهما قولاً وعملاً واعتقاداً ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، ثمّ تابعوهم ، ثمّ التابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة المفضَّلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيريَّة في قوله : "خيرُ النَّاس قرني ، ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الذين يلونهم"[٣] . فهؤلاء هم خيار الأمَّة ، ثمّ يلحق بهم من كان على مثل ما كانوا عليه من الهدى والتمسُّك بالكتاب والسنَّة في كلّ زمان ومكان، ممّن أخبر عنهم الرسول ﷺ في حديث الافتراق بأنّهم الفرقة الناجية، وأنّهم الجماعة[٤]. وهؤلاء —أعني المتمســـكين بالكتاب والسنَّة ، والمتبعين لمنهج الصحابة وسلف الأمَّة- أصبحوا في هذه الأمَّة كهذه الأمم بالنسبة للأمم ؛ فهم وســـطٌ بين فرق هذه الأمَّة، كما كانت هذه الأمَّة وسطاً بـــين ســـائر الأمـــم . وكلُّ دارسٍ متفحِّص لأقـــوال الفرق في مسائل العقيدة وأصول الدين ، يُدرك أنّ أهل الســـنَّة والجماعة وســـطٌ بين الفرق في ذلك .

ومن مظاهر هذه الوسطيَّة :

---

(١) انظر الوسطية في الإسلام —تعريفٌ وتطبيقٌ- للدكتور زيد الزيد ص ٤٦-٥١ .

(٢) فصاموا وأفطروا، وقاموا بالليل وناموا، وتزوَّجوا النساء، وقدوتهم في ذلك رسولهم ﷺ. (انظر صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح. وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح) .

(٣) تقدَّم تخريجه في ص ٢٢ .

(٤) انظر ص ٢٠ ، حاشية (٤) من هذا الكتاب .

١- في أسماء الله وصفاته، فهم وسطٌ بين أهل النفي والتعطيل، وأهل التشبيه والتمثيل؛

فأهل السنَّة والجماعة يُؤمنون بكلِّ ما وصف الله به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ، وبجميع أسمائه الحسنى من غير تحريفٍ لمعناها ، ولا نفيٍ لها أو تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

فهم يُثبتون جميع الأسماء والصفات مع تحقيقها لله ﷻ ، وتنـزيهه سبحانه عن مماثلة مخلوقاته، تصديقاً بخبره عن نفسه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى من آية ١١].

وهم وسطٌ في ذلك بين أهل التعطيل وأهل التشبيه والتمثيل .

فأهل التعطيل الذين أنكروا ما يجب لله من الأسماء والصفات ، أو أنكروا بعضه ، فهم نوعان ؛ أهل التعطيل الكلِّي ؛ كالجهميَّة والمعتزلة ؛ وأهل التعطيل الجزئيّ ؛ كالأشعريَّة والماتريديَّة(١) .

وأهل التشبيه الذين شبّهوا الله بخلقه، وجعلوا صفاته من جنس صفات مخلوقاته ؛ كما فعل الكرَّاميَّة ، والهشاميَّة -أتباع هشام بن سالم الجواليقي- ، وكصنيع داود الجواربي ، ومن نحا نحوه(٢) .

٢- في باب القدر ، فهم وسطٌ بين الجبريَّة والقدريَّة ؛

فأهل السنَّة والجماعة يُؤمنون بأنَّ الله قدَّر الأشياء في الأزل، وعَلِمَ أنَّها ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صفاتٍ مخصوصة، فهي تقع وفق ما قدَّره الله ﷻ(٣) . وهم بذلك يُؤمنون بركنٍ من أركان الإيمان، أشار إليه الصادق المصدوق ﷺ بقوله : "وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه"(٤) .

---

(١) انظر : فتح ربِّ البرية بتلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين ص ١٨-١٩. والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح الفوزان ص ١٥٧ .

(٢) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح الفوزان ص ١٥٦-١٥٧ .

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٤/١ .

(٤) انظر تخريج هذا الحديث في ص ١٤ من هذا الكتاب .

ولا يُعدُّ المرء مؤمناً بالقدر حتّى يؤمن بمراتبه الأربع التي هي بمثابة الأركان فيه ، وهي : علم الله بالأشياء قبل كونها ، وكتابة كلّ ما هو كائن قبل أن يكون ، ومشيئة الله للأشياء قبل وقوعها، وخلقه للأشياء وإيجادها . فهذه أركان أربعة تشهد لها نصوص الكتاب والسنّة[١] .

أمّا المنحرفون عن الكتاب والسنّة في هذا الباب ، فقد أفرطوا وفرّطوا ؛

فالقدريّة –ويُمثّلهم المعتزلة– جفوا في إثبات القدر ؛ فنفوا قدرة الله ﷻ وخلقه لأفعال عباده، وقالوا : إنّ الله لا يقدر على عين مفعول العباد . وعليه فأفعال العباد –عندهم– ليست مخلوقة لله، وإنّما العبد هو الذي يخلق فعله[٢] ، فأنكروا خلق الله لأفعال عباده، وهي المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر .

والجبريّة –ومنهم الجهميّة– غلَوا في إثبات القدر ، ونفَوا مسؤوليّة العبد عن أفعاله ؛ فهو لا يُريد فعلها ولا عدمه ، ولا يقدر عليه ، وقالوا : "لا فعلَ لأحدٍ في الحقيقة إلاّ لله وحده ، وأنّه هو الفاعل ، وأنّ النّاس إنّما تُنسب إليهم أفعالهم على المجاز ؛ كما يُقال : تحرّكت الشجرة ، ودار الفلك ، وزالت الشمس . وإنّما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه"[٣] ، وهو الذي يخلق الأفعال في الإنسان، على حسب ما يخلق في سائر الجمادات[٤]. فأنكروا فعل العبد لأفعاله، ونسبوا ذلك إلى الله. فالقدرية نفوا القدر وقالوا: الخلق خلق العبد، والجبريّة غلوا في إثبات القدرحتّى قالوا: الفعل فعل الربّ. وبرزت وسطيّة أهل السنّة في هذا الباب حين أثبتوا للعبد مسؤوليّة عن أفعاله، وإرادة

---

(١) من الكتب التي فصّلت في ذلك : أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٢٤-١٤١ . ووسطيّة أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم ص٣٦٣-٣٦٦. والثمرات الزكيّة في العقائد السلفيّة لأحمد فريد ص٢٢٢-٢٥٠ .

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار الهمذاني ص٣٢٣. والمغني في أبواب العدل والتوحيد له ٣/٨ .

(٣) مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين لأبي الحسن الأشعري ١/٣٣٨ .

(٤) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٥١ .

تُرجّح له الفعل ، ومشيئة واختياراً ، وقدرة على الأفعال ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الاسراء من الآية٣٦] . والذي قام بالعبد هو فعله، وكسبه، وحركاته، وسكناته؛ فهو المصلّي ، القائم ، القاعد حقيقةً . والذي قام بالله ﷻ هو علمه، وقدرته، ومشيئته، وخلقه؛ كما أخبر ﷻ عن نفسه: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] ؛ فالله كما خلق العباد، يخلق أفعالهم، والعبد فاعل لفعله حقيقةً، وقادرٌ عليه بإقدار الله له، والخلق خلق الله ؛ لأنَّ العبادَ خَلْقٌ له، وأفعال المخلوقين مخلوقة، ولأنَّ الله خالق كلّ شيء ، ولا يكون في ملكه إلاّ ما يُريد كوناً وقدراً"[1] .

وأهل السنَّة بوسطيّتهم هذه يجمعون بين النصوص ، ويؤلّفون بينها[2] .

٣- في نصوص الوعد والوعيد ، فهم وسطٌ بين الوعيديَّة والمرجئة :

"جاء في كتاب الله ﷻ وسنَّة رسوله ﷺ كثيرٌ من الآيات والأحاديث التي تدلّ على وعد الله ﷻ للمؤمنين والمطيعين بالثواب الجزيل ، وأنّه أعدَّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار ، ووعدهم بألوان من الأجر والجزاء، ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك، وتكفير السيّئات، وإبدالها حسنات، ونحو ذلك"[3]. ومن هذه النصوص: قوله ﷻ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣]، وقوله ﷺ لأبي ذرّ الغفاري ﷺ : "ما مِنْ عَبْد قال : لا إله إلا الله ، ثمّ مات على ذلك إلاّ دخل الجنَّة"[4] . وهذه يُقال لها : **نصوص الوعد** .

---

(١) انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٧٥ . وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥٣٤/٣ . ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٥٩/١-٤٦٠ ، ٢٩٨/٢ . وشفاء العليل لابن القيم ص ٤٩٣ .

(٢) انظر وسطيّة أهل السنَّة بين الفرق للدكتور با كريم ص ٣٨١-٣٨٣ .

(٣) وسطيّة أهل السنَّة والجماعة بين الفرق للدكتور محمد با كريم ص ٣٥٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنَّة .

وجاء كذلك في الكتاب والسنَّة "آيات وأحاديث كثيرة، تتضمَّن الوعيد الشديد بالعذاب الألـــيم ، والخلود في النَّار لأهل الفسق والمعاصي وأصحاب الكبائر ، ووصفهم بالكفر والفســـق والضـــلال ونحو ذلك"[١] . ومن هذه النصوص: قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء:٩٣] ، وقوله ﷺ : "سِبَابُ المسلمِ فُسوقٌ، وقتاله كُفرٌ"[٢]. وهذه تُسمَّى **نصوص الوعيد** .

والنَّاس قد افترقوا في هذه النصوص إلى طرفين ، ووسط .

فالمرجئـــة أخذوا بنصوص الوعد ، وتركوا نصوص الوعيد ، وقالوا : كلّ ذنب سوى الشـــرك فهو مغفور ؛ فالإيمان لا تضرّ معه معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة[٣] .

وإنَّما ضلُّوا في هذا الباب بسبب عبادتهم الله بالرجاء وحده ، وإهمال جانب الخوف .

والوعيديَّـــة –مـــن الخوارج والمعتزلة– أخذوا بنصوص الوعد والوعيد ، وغَلَوا في نصوص الوعيـــد، وقالوا : لا بُدَّ أن يُنجز الله وعده ووعيده، ولا يصحّ أن يُخلف أيًّا منهما[٤].

وسبب ضلالهم في هذا الباب : عبادتهم الله بالخوف وحده ، وإهمال جانب الرجاء .

وأهـــل الســـنة في هذا الباب وسطٌ بين غلاة المرجئة، وبين الوعيـــديَّة –مـــن الخوارج والمعتزلة–، وهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيـــد؛ **فيجمعون بين الخوف والرجاء** ، ولا يُفرِّطون في نصوص الوعيد كالمرجئة الخالصة الذين قالوا: لا يضرّ مع الإيمان ذنب ، ولا يغـــلون غُلُوّ الخوارج والمعتزلة في نصوص الوعيد ، ويقولون في الوعيد : يجوز أن يعفوَ الله عن المذنب ، وأن يُخرَج أهل الكبائر من النَّار ، فلا يُخلَّد فيها أحداً من أهل

---

(١) وسطيَّة أهل السنَّة والجماعة للدكتور محمد با كريم ص ٣٥٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور با كريم ص ٣٥٥ .

(٤) انظر : شرح الأصول الخمسة لعبدالجبار المعتزلي ص ١٣٥-١٣٦. والموجز لعبدالكافي الأباضي –من الخوارج– ضمن كتاب آراء الخوارج الكلاميَّة ، للدكتور عمار طالبي ١٠٥/٢ . .

التوحيد[1]، ويقولون في الوعد : إنّ الله لا يُخلف وعـــده، فـــ"إذا وعد عباده بشيء ، كان وقوعه واجباً بحكم وعده ؛ فإنّ الصادق في خبره ، الذي لا يُخلف الميعاد"[2] .

الرجاء والخوف عند أهل السنّة والجماعة :

الـــرجاء والخوف عند أهل السنَّة والجماعة من أركان العبادة[3]، وهما متلازمان، كما قال الشيخ محمَّد الأمين الشـــنقيطي عنهما : "فاعلم أنَّهما متلازمان ؛ فمن كان يرجو ما عند الله من الخير ، فهو يخاف ما لديه من الشرّ ، كالعكس"[4] ، وعلى تلازمهما دلَّت النصوص الشرعيَّة .

والرجاء والخوف عند العبد كجناحي طائر، قد يميل بأحد جناحيه لمصلحة، شريطة أن لا يفقد التوازن ، وعلماء أهل السنَّة والجماعة يقولون: "ينبغي للإنسان وهو في أيام صحته أن يُغـــلِّب الخوف دائماً على الرجاء ، وأن يكون خوفه أغلب من رجائه . فإذا حضره الموت غلَّب الرجاء في ذلك ليطغى على الخوف ، فلا ينبغي للمؤمن أن يموت إلا وهو يُحسن الظنّ بالله جلّ وعلا"[5] .

ولكـــن ليس المراد أن ينفرد أحدهما في نفس العبد ؛ فإنّ ذلك يكون ســـبباً في اختلال التوازن في حياته .

٤- في باب الأسماء والأحكام ، فهم وسطٌ بين الوعيديَّة والمرجئة :

المراد بالأسماء : أسماء الدين ، وهي تلك الألفاظ التي رتَّب الله ﷻ عليها وعداً ووعيداً ؛ مـــثل : مؤمـــن، ومسلم ، وكافر ، وفاسق . والمراد بالأحكام : أحكام أصحاب هذه الأسماء في الدنيا والآخرة[6] .

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/٤٦٦-٤٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ١/٤٤٨ .

(٣) سيأتي الحديث عنها لاحقاً .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ٤/٢٠٠ .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٥١ . وانظر فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٦) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/٣٨ .

والنَّاس في أحكام عصاة المسلمين وأسمائهم، قد انقسموا إلى طرفين –وعيديَّة ومرجئة– ، ووسط –أهل السنة والجماعة– ؛

أولاً : انقسامهم في أسماء مرتكبي الكبائر :

الوعيديَّة : سلبوا اسم الإيمان عن العاصي في الدنيا ، وسمُّوه : إمَّا كافراً كالخوارج(١) ، أو في منـــزلة بين الإيمان والكفر ؛ فلا هو مؤمن ولا كافر ، كالمعتزلة(٢) .

والمرجئة والجهميَّة : زعموا أنَّ العاصي مؤمن كامل الإيمان ؛ لأنَّ الإيمان عندهم مجرَّد ما في القــلب ، أو المعرفة القلبيَّة . وهم الذين قالوا : "لا تضرّ مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة"(٣) .

أمَّا أهل الســنَّة والجماعة : فقد أطلقوا على مرتكب الكبيرة اسم : "مؤمن عاص ، أو مؤمــن فاسق ، أو مؤمن بإيمانه فاســقٌ بكبيرته" ، فلا يزيلون عنه اسم الإيمان بالكليَّة بذهــاب بعضه ، ولا يُعطونه اسم الإيمان المطلق(٤)، والله ﷻ قد سمَّى المُقْتَتلين مؤمنينَ ؛ فقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾، إلى أن قال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ٩-١٠] .

ثانياً : انقسامهم في أحكام مرتكبي الكبائر في الآخرة :

الوعيديَّــة حكموا بخلود أصحاب الكبائر في النَّار في الآخرة؛ فالخوارج قالوا : إنَّ أهل الكــبائر خالدون مخلَّدون في النَّار ، لا يخرجون منها أبداً(٥) ؛ والمعتزلة قالوا : يدخلون

---

(١) انظر مقالات الإسلاميِّين لأبي الحسن الأشعري ١٦٨/١.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي ص ٦٩٧ .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد با كريم ص ٣٣٥-٣٣٦ .

(٤) انظر المرجع نفسه ص ٣٤٦ .

(٥) انظر مقالات الإسلاميِّين لأبي الحسن الأشعريّ ١٦٨/١ .

النّار، ويُخلّدون فيها أبد الآبدين، ودهر الداهرين[١] . ويظهر من أقوال الفرقتين تشابه موقفهم في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة .

أمّـــا أهل السنّة والجماعة فقالوا : إنّ حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة أنّه يُخاف عليه العقاب، ويُرجى له الرحمة؛ فـــمَنْ لَقِيَ الله "مُصرًا غيرَ تائبٍ من الذنوب التي استوجبَ بها العقوبة ، فأمره إلى الله ﷻ ؛ إن شاء عذّبه ، وإن شاء غَفَرَ له .." [٢] ؛ فإن غَفَرَ له ، وأدخلــه الجنّة دون عذاب ولا عقاب ، فبفضله . وإن أدخله النّار وعذّبه بقدر ذنوبه ، فبعدله . ثمّ إنّه لا يُخلّد في النّار كالكفّار . وهم في ذلك ينطلقون من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : من الآية٤٨] .

٥- في أصحاب رسول الله ﷺ ، فهم وسطٌ بين الغالي والجافي :

الصحابي هو : مَنْ لَقِيَ النبيّ ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام[٣] .

وأهل السنّة والجماعة وسطٌ في صحابة رسول الله ﷺ بين الغلاة والجفاة ؛

الغـــــلاة الذين يقولون بألوهيَّة أمير المؤمنين وأبي السبطين عليّ بن أبي طالب ﷺ ، أو يقولون بعصمته ، أو يُفضّلونه على أبي بكر وعمر ﷺ أجمعين[٤] .

والجفـــــاة الذين جفوا الصحابة حتى كفّروهم، ولعنوهم، ورموهم بالعظائم ؛ كفعل الخوارج في حقّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، وبعض الصحابة[٥] ؛ وكفعل المعتزلة

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة لعبدالجبار المعتزلي ص ٦٦٦ . وانظر أيضاً فتح الباري لابن حجر ٧٣/١ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة للالكائي١٦٢/١. وانظر الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص٢٦٥ .

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧/١ .

(٤) انظر الفرقان بين الحقّ والباطل لابن تيمية ص ٢١-٢٢ .

(٥) انظر المصدر نفسه ص ١٩ .

في تفسيقهم لطوائف من الصحابة ، وردِّهم لشهادتهم[١] ؛ وكفعل الرافضة في سبّ وتكفير الصحابة ، سيّما الشيخين ﷺ[٢] .

وتوسَّط أهل السنة بين هؤلاء وهؤلاء ؛ فأحبُّوا الصحابة ﷺ، وترضوا عنهم ، واعتقدوا عدالتهم، وأنَّهم أفضل هذه الأمَّة بعد نبيِّها ﷺ ، وأنَّ الله قد حفظ هم دينه ، وأقام هم عقيدة الإيمان صافية نقيَّة[٣] .

والأدلَّة من الكتاب والسنَّة على فضلهم أكثر من أن يجمعها مكان . منها : قوله ﷻ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٢٩] .

ومنها قوله ﷺ : "لا تسبُّوا أصحابي ، فلو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفه"[٤] .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٧٨/١٢ . وميزان الاعتدال للذهبي ٣٢٩/٤ .

(٢) انظر : الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ص ٢٣ . ووسطية أهل السنة بين الفرق لباكريم ص ٤٠٦-٤١١ .

(٣) انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٣ . وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٧٧-١٧٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر بعد النبيّ ﷺ . وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سبّ الصحابة ﷺ .

البابُ الأوّل

ويشتمل على تمهيد ، وفصلين :

الفصل الأول : بيان أنواع التوحيد . وأقسامه بإيجاز .

الفصل الثاني : دراسة بعض التفصيلات عن توحيد العبادة "الإلهيَّة" .

تمهيد

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى : تعريف التوحيد .

المسألة الثانية : التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً ، وفطرة ، والشركُ طارئٌ .

المسألة الأولى

تعريف التوحيد

سبق تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً[١] .

وقلـنا في تعريفه اصطلاحاً : إفراد الله بما تفرَّد به ، وبما أمر أن يُفردَ به ؛ فنُفرده في ملكه وأفعاله فلا ربّ سواه ولا شريك له، ونُفرده في أُلوهيَّته فلا يستحقّ العبادة إلا هو ، ونُفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له .

المسألة الثانية

التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً وفطرةً والشرك طارئ

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول : التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً .

الفرع الثاني : التوحيد هو الأصل في البشر فطرةً .

الفرع الثالث : الشرك طارئ .

---

(١) انظر ص ١٠-١١ من هذا الكتاب .

الفرع الأول

التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً

ثمّة شبهة أُثيرت، مفادها أنّ الأصل في الإنسان أنّه مشركٌ ، وأنّ التوحيد طارئٌ عليه .

وقد زعم أصحاب هذه المقولة أنّ الإنسان عَرَفَ الشركَ وتعدّد الآلهة أولاً، و لم يعرف عقيدة التوحيد إلاّ بعد أن تطوَّرت ومرَّت بعدَّة مراحل .

ويُردّ عليهم بأنّ التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً للأدلة التالية :

١- إنّ الغاية من خلق آدم ﷺ وذريّته هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات:٥٦] .

٢- آدم ﷺ أبو البشر ، وحوَّاء أمّهم كانا على التوحيد ، وحين أكلا من الشجرة ، علما أنّ لهما ربًّا يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، فتضرَّعا إليه قائلَيْن : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: من الآية٢٣] .

٣- إنّ الله اصطفى آدم ﷺ، وشرَّفه بذلك، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٣٣] ، ولا يكون الاصطفاء لمشرك . وقد أمر ملائكته بالسجود له ، يقول ﷻ :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤] .

٤- إنّ الله ﷻ قد أخذ العهد والميثاق على بني آدم، وهم في صُلْب أبيهم آدم ﷺ أنّه ربُّهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، كما قال مولانا ﷻ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣] .

٥- إنّ ذريّـــة آدم عليه السلام من بعده كانوا يدينون بالتوحيد الخالص طيلة عشرة قرون ؛ حتّى حدث الشرك في قوم نوحٍ عليه السلام ، كما ســيأتي[1] ؛ فبعث الله تعالى إليهم نوحــاً عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده ؛ يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:٥٩] .

٦- كلّما انحرفت البشريَّة عن التوحيد، أرسل الله الرسل تدعو إلى عبادته وحده، ونبذ ما يُعبد من دونـــه ، كما قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الانبياء : ٢٥] .

الفرع الثاني

التوحيد هو الأصل في البشر فطرةً

الفطْـــرَة على وزن فِعْلَة ، وهي مشتقّة من فَطَرَ . يُقال : انفطر الشيء ، إذا انشقّ . وفَطَرَ الأمرَ ، إذا ابتدأه واخترعه وأنشأه . وفَطَرَ اللهُ العالَمَ ، أوجده ابتداءً . وفطر الخلقَ ، خلقهم وبَرَأهم[2] .

والمراد بها هاهنا : أصل الخلقة ، وهي ما أوجد الله عليه النَّاس ابتداءً من الإيمان به ﷻ وتوحيده .

وكما كان التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً، فهو الأصلُ في البشر فطرةً، للأدلة التالية :

١- إنّ الله ﷻ منذ أوجد البشر فطَرَهم على التوحيد والإيمان به ﷻ خالقاً ومعبوداً ، وأخذ عليهم العهد والميثاق منذ كانوا في أصلاب آبائهم[3] . يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣] .

---

(١) في الفرع الثالث : الشرك طارئ ، ص ٥٢ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٥٨٧ ، والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٦٩٤ .

(٣) انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلاميّة لعثمان جمعة ضميريّة ص ١٦ .

٢- إنَّ الله ﷻ قد أمر رسوله ﷺ -وأُمَّته داخلة في الخطاب- أن يُقيموا وجوههم ، ويُخلصوا دينهم لـــه ؛ لأنَّ ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠] .

٣- قد أخبر مولانا ﷻ أنَّه خلق عباده حنفاءَ كلَّهم ، موحِّدين، مسلمين، مستقيمين، منيبين لقبول الحقّ ؛ لأنَّ ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها ، حين أخذ عليهم العهد في الذرّ[١] . يقول الله ﷻ في الحديث القدسيّ : "وإنِّي خَلَقْتُ عبادي حُنَفَاءَ كُلَّهم ، وإنَّهم أَتَتْهُمُ الشـــياطين فَاجْتَالَتْهُمْ عن دينهم ، وحرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهم ، وأَمَرَتْهُمْ أن يُشْرِكُوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سُلْطَاناً"[٢] ؛ فالعبادُ كلُّهم مفطورون على الإسلام ، والإيمان الصـــحيح ، ولكنْ للشياطين دورٌ في مسخ الفطرة ، وتشويهها ، وجعلها تنحرف عن المسار السويّ . فإذا طرأ على الفطرة ما يصرفها عن الصواب والحقّ ، فإنَّها تحتاج إلى ما يُصحِّح لها مسارها، ويردّها عن الانحراف، وهذه مهمَّة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٤- أخبر الرسول ﷺ "أنَّ كلَّ مولودٍ يُولَدُ مُهيَّئاً للإسلام"[٣]، في قوله: "مَا مِنْ مولود إلا يُولَدُ على الفِطْرَةِ. فأبواه يُهَوِّدانِهِ ويُنَصِّرانه ويُمَجِّسانه.كما تُنْتَجُ البَهِيْمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ . هَلْ تُحِسُّونَ فيها مِنْ جَدْعَاءَ؟". ثمّ يقول أبو هريرة ﷺ راوي الحديث : واقرؤوا إن شـــئتم : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠][٤] . والفطرة التي يُولد الإنسان عليها كما

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٧/١٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النَّار .

(٣) قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم ٢٠٨/١٦ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى : كل مولودٍ يُولد على الفطرة .

قـــال الإمام المازريّ : "هي ما أُخِذَ عليهم في أصلاب آبائهم ، وأنَّ الولادة تقع عليها ، حتى يحصـــل التغيير بالأبوين"[١] ؛ فالإنســـان لو تُركَ على أصل خِلْقَتِه التي خلقه الله عـــليها؛ "الفطرة"، دون أن تتدخَّل المؤثِّرات الأخرى ، لكان من المؤمنين المسلمين[٢] .

والتحوُّل عن الفطرة أساساً ، إنَّما هو من فعل الشيطان ، ووسوسته ، وإغوائه .

٥- إنَّ كلَّ مولودٍ في العـــالم يُقرُّ بأنَّ الله خالقُـــه وربُّه ، ولو عَبَدَ غيرَه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣] ؛ فالفطرة تدلّ على توحيد الربوبيَّة .

٦- إنَّ الفطرة تدلّ على توحيد الألوهيَّة ؛ لأنَّ توحيد الربوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة ؛ فمن أيقن أنَّ الله ربُّه وخالقُه ، فلا بُدَّ أن يصرف العبادة له وحده ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] ؛ فالإنسان إذا آمن بأنَّ الله ﷻ هو الخالق ، الرازق ، المحيـــي ، المميت ، المعطي ، المانع ، الضارّ ، النافع ، بيده الأمر كلُّه ، وإليه يُرجع الأمرُ كلُّه ، فلا بُدَّ أن ينتهي به الأمر إلى أنَّه المعبود بحقٍّ وحده ، لا شريك له ؛ فيخضع قلبُه لـــه محبّة ، وإنابةً ، وذُلاًّ ، وخوفاً ، وخشيةً ، وتوكُّلاً ؛ إذ كيف يعبد ، أو يخاف ، أو يُحبّ محبَّة عبادة ، أو يتوكَّل على مخلوقٍ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا .

---

(١) نقله عنه الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ٢٠٨/١٦ .

(٢) انظر تفسير البغوي ٢٧٠/٦ .

الفرع الثالث

الشركُ طارئٌ على البشريّة

فهمنا مّما تقدّم أنّ الشرك نوعٌ من أنواع الانحراف عن جادّة الحقّ والفطرة ، وأنّه ليس الأصل ، كما زعم من زعم . والأدلة على ذلك كثيرة ، منها :

١- لقـد كانت البشريَّة الأولى ، أو ذريَّة آدم ﷺ المولودة على الفطرة، -والفطرة هي دين الإسلام الذي رضيه الله ﷻ وارتضاه لعباده[١]- كانت على الإسلام طيلة عشرة قرون[٢] .

٢- يقول ابن عبّاس -رضي الله عنهما- في تفسير قول الله ﷻ : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[البقرة من الآية٢١٣] : "كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلّهم على الإسلام"[٣] .

فالتوحيد هو أصل البشريَّة، منذ خلق الله آدم ﷺ، حتى وقع الشرك في قوم نوح ﷺ.

٣- أوَّلُ شـركٍ وقع في الخليقة هو شركُ قوم نـوحٍ ﷺ ، وسبب كفرهم وتركهم دينهم هو غُلُوُّهم في الصالحين ؛ فمعبوداتهم التي عكفوا عليها وتعصَّبوا لها ، وقالوا عنها : ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣]، هي "أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلمَّا هلكوا أوْحى الشـيطانُ إلى قومهم أنِ انْصِبُوا إلى مجالسهم الـتي كانوا يجلسُون أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم ، ففعلوا . فلم تُعبَد، حتى إذا هَلَكَ أولئك وتَنَسَّخَ العلمُ ، عُبِدَت"[٤] ، كما قال الحبر ابن عباس رضي الله عنهما .

فالشركُ طارئٌ على البشريَّة ، وأوَّل ما وقع في قوم نوحٍ ﷺ ، بعد ألف سنة من آدم ﷺ .

٤- بعث الله ﷻ الرُّسُـلَ تترى؛ كلّما ضلّت أُمَّةٌ وانحرفت عن التوحيد ، بعث إليها رسولاً يُعيدها إلى الجادَّة ، ويُبصِّرها بضلالها ، كي ترعوي ، وتعـود إلى الحـقّ . قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: من الآية٣٦] .

---

(١) انظر كلمات في الأخلاق الإسلاميَّة للدكتور كمال محمَّد عيسى ص ٨٣ .

(٢) انظر : معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٦٧٨/٢ . وأضواء البيان للشيخ الشنقيطي ٢٨٦/١ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٣٤/٢ ، والحاكم في المستدرك ٤٤٢/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، و لم يُخرِّجاه ، ووافقه الذهبيّ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ ودًّا ولا سواعاً ولا يغوث ويَعوق ﴾ .

الفصل الأوّل

أنواع التوحيد

ويشتمل على تمهيد ، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : توحيد الربوبيّة .

المبحث الثاني : توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثالث : توحيد الألوهيّة .

تمهيد :

اعلم أنَّ التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع[١] .

وهذه القسمة استقرائيّة ، قد دلَّت عليها النصوص .

يقـــول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : "دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنَّ الـــتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول : توحيده في ربوبيَّته ، وهذا النوعُ جُبِلَت عليه فطر العقلاء . الثاني : توحيده جلّ وعلا في عبادته ، وضابط هذا النوع من التوحيد هو : تحقيق معنى لا إله إلا الله ، وهي متركِّبة من نفيٍ وإثبات . الثالث : توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته"[٢] .

فأنواع التوحيد إذاً ثلاثة .

وقـــد اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة في آية واحدة من كتاب الله ﷻ ؛ في قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥] .

يقول الشـــيخ محمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله موضِّحـــاً ذلك: "فقوله: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ هـــذا توحيد الربوبيَّة. وقوله : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ هذا توحيد الألوهيَّة. وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات ؛ أي لا تعلم له سميًّا ؛ أي مسامياً يُضاهيه ويُماثله ﷻ "[٣] .

وبعد ما عَرَفنا أنواع التوحيد ، نتكلَّم عن كلِّ نوعٍ منها بإيجاز .

---

(١) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ١/٥٦ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٣/٤١٠-٤١١ .

(٣) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد لابن عثيمين ص ٩ .

المبحث الأول

توحيد الربوبيَّة

توحيـــد الربوبيَّة أحد أنواع التوحيد الثلاثة . ويُمكن الحديث عنه بإيجاز في الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : معنى الربّ لغةً :

الربُّ لغةً يأتي لعدّة معان ، منها : المربِّي ، والمالك . يُقال : ربُّ كلّ شيء : مالكُه ، ومستحقُّه ، أو صاحبه(١) .

الوقفة الثانية : توحيد الربوبيَّة شرعاً :

هو الاعتقاد والاعتراف والإقرار الجازم بأنَّ الله وحده ربُّ كلّ شيء ومالكُه ، وخالق كلّ شيء ورازقه، وأنّه المحيي والمميت، والنافع والضارّ، المتفرِّد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كلُّه، وبيده الخيرُ كلُّه، وإليه يرجع الأمر كلُّه، ليس له في ذلك شريك(٢) .

الوقفة الثالثة : ما الذي يلزم المؤمن بتوحيد الربوبيَّة ؟

عندما نقول : على العبد أن يُوحِّد الله في ربوبيّته ، فإنَّا نطلب منه أموراً ، هي :

١- أن يؤمن بوجوده أولاً .

٢- أن يؤمن بأفعال الله العامَّة ؛ كالخلق ، والرزق ، والنفع ، والضرّ ، والإعطاء ، والمنع ، والإحياء ، والإماتة ، ... إلخ .

٣- أن يؤمـــن بقضاء الله وقدره ؛ لأنَّ ما يُجريه الله في كونه ، وما يُقدِّره من مقادير هي من أفعاله ﷻ .

الوقفة الرابعة : في ذكر بعض الأدلة الشرعيَّة على توحيد الربوبيَّة :

القرآن الكريم مليء بذكر الأدلة على ربوبيَّة الله ﷻ ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري ١٣٠/١ . و القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١١١ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص ٣٣ .

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤] ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذريات:٥٨] ، وغير ذلك .

الوقفة الخامسة : دلالة الفطرة على توحيد الربوبيّة[1] :

هـــذا النوع من التوحيد جُبِلَتْ عليه فطر العقلاء ؛ فالله ﷻ فَطَرَ خلقه على الإقرار بربوبيّته ، وأنّه الخالق الرازق ، المحيي المميت ، .. إلخ . وقد حكى الله ﷻ عن المشركين أنّهم يُقِرُّون بهذا النوع من التوحيد، فقال : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[العنكبوت:٦١]، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧] ، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣] ... فهم ينسبون لله سبحانه : الخلق، والإحياء، والإماتة ، وتدبير الأمر ؛ من رزق ، وإنزال مطر ، وغير ذلك .

الوقفة السادسة : موقف المشركين من توحيد الربوبيّة :

ذكرنا في الوقفة السابقة أنّ المشركين كانوا يُقِرُّون بتوحيد الربوبيّة ، ومع ذلك حكم عليهم الله ﷻ بالكفر ، ودمغهم بالشرك ، فقال : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]. والملاحظ أنّ الله ﷻ نسب إليهم في هذه الآية إيماناً، مع حكمه عليهم بالشرك، وهذا الإيمان الذي أثبته لهم ، قولهم : إنّ الله خلقنا ، ويرزقنا ، ويُميتنا ، ... فهذا إيمانهم ، مع إشراكهم في عبادتهم غيره[2] .

وهذا التوحيد كما أقرّ به المشركون الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ، كذلك أقرّت به سائر الأمم ، إمّا ظاهراً وباطناً ، أو باطناً فقط . وفرعون الذين أنكره ظاهراً ، أقرّ به باطناً كما حكى الله عنه وعن قومه : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ [النمل: من الآية١٤][3] .

الوقفة السابعة : هل يكفي توحيد الربوبيّة وحده ؟ وهل يُدخل صاحبه في الإسلام ؟

لا يكفي توحيـــد الربوبيّة وحـــده ، ولا يُدخل صاحبـــه في الإسلام ، ولذلك قاتل رسول الله ﷺ مَن أقرّ به ، وصرف العبادة لغير الله .

---

(١) تقدّم الحديث عن الفطرة في ص ٤٩-٥١ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ٢٠٩/١ . وتوحيد الربوبيّة لمحمد بن إبراهيم الحمد ص ١٢ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفيّ ٢٥/١-٢٧. وتوحيد الربوبيّة للحمد ص١٤-١٥.

المبحث الثاني
توحيد الأسماء والصفات

توحيـــد الأسماء والصفات أحد أنواع التوحيد الثلاثة ، ويُمكن الحديث عنه بإيجاز في الوقفتين التاليتين :

الوقفة الأولى : تعريف توحيد الأسماء والصفات :

يُعـــرَّف هذا النوع من أنواع التوحيد بأنَّه : إفراد الله ﷻ بما سمَّى به نفسه ، ووصف به نفسه؛ في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، نفياً وإثباتاً ؛ فيُثبَتُ له ما أثبته لنفسه، ويُنفَى عنه ما نفاه عن نفسه ؛ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل[1] .

الوقفة الثانية : في ذكر بعض أصول أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات :

هذا النوع من أنواع التوحيد، ينبنـــي عند أهل السنة والجماعة[2] على أصول، منها :

١- تنـــزيه الله ﷻ عن مشابهة صفات الحوادث؛ فالله ﷻ ليس كمثله شيء بوجه من الوجوه؛ لا في ذاتـــه ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله[3] ؛ كما أخبر ﷻ عن نفسه بقوله : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: من الآية١١] .

٢- الإيمانُ بجميع ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه رسوله ﷺ حقيقة لا مجازاً ، على الوجه اللائق بكماله وجلاله . فكما لا يجوز تمثيل صفاته ﷻ بصفات خلقه ، كذلك لا يجوز نفي الصفات التي وصف بها نفسه .

والملاحظ على الآية المذكورة آنفاً أنَّها ذات شقّين ؛ أحدهما : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ ردٌّ على أهل التشبيه والتمثيل ، والآخر : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ ردٌّ على أهل النفي والتعطيل .

٣- قطع الطمع عن إدراك كيفيَّة صفاته ﷻ ؛ إذ العباد لا يعلمون كيفيَّة ما أخبر الله به عن نفسه؛ لأنَّ عقولهم لا تُطيق "كُنْه معرفته ﷻ، ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته"[4] .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٣ . والرسالة التدمريَّة له ص ٧ . ولوامع الأنوار البهيَّة للسفاريني١/١٢٩. والمجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين٢/١٢. والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٢٢ .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/١١٠. وأضواء البيان للشنقيطي ٢/٣٢١ ، ٣/٤١١ . وآداب البحث والمناظرة له ٢/١٢٧-١٢٨ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/١١٧ . والرسالة المدنية له ص ٣١ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/٥٧٥ .

المبحث الثالث
توحيد الألوهيَّة

تمهيد : توحيد الربوبيَّة وتوحيد الأسماء والصفات من جنس واحد ؛ فهما نوعان مفهومهما اعتقاديّ –ليس عمليًا كتوحيد الألوهيَّة–، ولذلك أطلق بعض أهل العلم عليهما اسماً واحداً ، هو : توحيد المعرفة والإثبات ، أو التوحيد العلميّ الخبري ؛ لأنَّ المطلوب من المؤمن تجاههما : معرفةٌ ، وإثباتٌ ؛ معرفة أفعال الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وإثباتها له ﷻ .

أمَّا توحيد الإلهيَّة، أو العبادة : فهو توحيد عمليّ ؛ فيه أمرٌ بفعل يُصرف لواحدٍ ؛ وهو الله ﷻ، أو نهي عن فعل يُترك لأجل واحد، هو الله ﷻ ؛ فهو توحيد في الطلب والقصد ، أو توحيد إراديّ طلبيّ ، فيه دعوةٌ إلى عبادة الله وحده ، وخَلْعُ ما يُعبد من دونه[1] .

والكلام عن هذا النوع من أنواع التوحيد يطول ؛ إذ المعركة بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم ، كانت من أجل هذا التوحيد .

وسأكتفي هاهنا بذكر مقدِّمات تعريفيَّة بهذا التوحيد، وأترك التفصيل للفصل اللاحق.

وهذا الكلام الموجز في هذا المبحث ، يستلزم الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : في تعريف كلمة "إله" لغةً :

يُقال في اللغة : أَلَـهَ إلاهَـةً وأُلُـوهَـةً وأُلُـوهِـيَّـةً : أي عَـبَـدَ عِـبَـادةً . وتوحيد الأُلُوهِيَّة: أي توحيد العبادة . والإِلهُ بمعنى مألوه ؛ أي معبود . وأَلَّـهَـهُ : اتَّخذه إلهاً ؛ أي معبوداً . وكلُّ ما اتُّخِذَ معبوداً ، فهو إلهٌ عند مُتَّخِذِه[2] .

الوقفة الثانية : تعريف توحيد الأُلوهيَّة :

عرَّف العلماء توحيد "الأُلوهيَّة" بأنَّه "إفـراد الله تعالى بجميع أنواع العبـادة الظاهرة والباطنة ، قولاً وعملاً ، ونفي العبادة عن كلِّ ما سوى الله تعالى كائناً من كان"[3] .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفي ص ٤٢-٤٣ .

(٢) انظر : الصحاح للجوهري ٦/٢٢٢٣ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٦٠٣ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٢٥ .

(٣) أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٥١. وانظر المجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ٢/١١.

الوقفة الثالثة : مـــنـــزلـــة توحيد الألوهيَّة بين أنواع التوحيد :

هذا التوحيد هو أوَّل دعوة الرسل[١] عليهم الصلاة والسلام؛ فمن أجله أُرسِلَت الرُّسُل؛ كما قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: من الآية٣٦] .

وهذا التوحيد أنزل الله الكتبَ[٢] ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانبياء:٢٥] .

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحِّدين والمشركين ، وعليه يقع الثواب أو العقاب في الدَّارَيْن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"فالتوحيد ضدّ الشرك، فإذا قام العبدُ بالتوحيد الذي هو حقّ الله ، فعبَده لا يُشرك به شيئاً ، كان موحِّداً"[٣] .

وهذا التوحيد هو الذي أُمرَ رسول الله ﷺ أن يُقاتل الكفّار عليه[٤]؛ يقول ﷺ : "أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاس حتَّى يشهدوا أن لا إلهَ إلا الله ، ويؤمِنُوا بي وبما جئْتُ به . فإذا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا مِنّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحَقّها وحسابُهم على الله"[٥] .

و"لا إله إلا الله" هو معنى توحيد الألوهيَّة ، كما سيأتي .

الوقفة الرابعة : الأدلَّة الشرعيَّة على توحيد الألوهيَّة :

"توحيد الله، وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته ، في القرآن كثيرٌ جداً" ، كما قال ابن تيمية رحمه الله[٦] . ومن هذه الأدلَّة الكثيرة : قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: من الآية٣٦] ، وقوله : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الاسراء: من الآية٢٣] ، وقوله : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: من الآية ٥] ، وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعـــام:١٦٢-١٦٣] .

---

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ٤٤٣/٣ . وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ٢١/١ .

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٥/١ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٢/١-٥٣ .

(٤) انظر المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين ١١/٢-١٢ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال النَّاس حتّى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٦) في مجموع الفتاوى ٧٠/١ .

والأدلَة من السنَّة كثيرة جدًّا، أكتفي بقوله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: "يا معاذ! أتدري ما حقُّ الله علـى العباد؟ وما حقُّ العبادِ على الله ؟" قال معاذ: الله ورسوله أعلم. قال: "حقُّ الله على العبادِ : أن يعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئاً ، وحقُّ العبادِ على اللهِ : أن لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ به شيئاً"[1] .

الوقفة الخامسة : حكم من لم يأتِ بهذا النوع من التوحيد ، وأخذ بالنوعين الباقيين :

لا يدخلُ في الإسلام مَنْ لم يأت بتوحيد الألوهيَّة ، ولو كان آخذاً بالنوعين الآخرَين ؛ "فلو أنَّ رجلاً من النَّاس يؤمن بأنَّ اللهَ ﷻ هو الخالق المالك المدبِّر لجميع الأمور ، وأنَّه ﷻ المستحقّ لما يستحقّه من الأسماء والصفات. لكن يعبدُ مع الله غيره ، لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبيَّة، والأسماء والصفات"[2]، وكذا لو صَرَفَ شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ؛ لأنَّ الله ﷻ يقول : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: من الآية٧٢].

الوقفة السادسة : العلاقة بين توحيد الألوهيَّة وتوحيد الربوبيَّة :

يكثر في كلام علماء أهل السنَّة -رحم الله أمواتهم، وحفظ أحياءهم- ذكر علاقة الاستلزام والتضمُّن بين نوعَي التوحيد هذين .

ومن كلامهم في ذلك ، قول العلامة ابن القيِّم رحمه الله : "والإلهيَّة التي دَعَتِ الرُّسُلُ أمَمهم إلى توحيد الربِّ بها ، هي العبادة والتأليه . ومن لوازمها : توحيد الربوبيَّة الذي أقرَّ به المشركون ، فاحتجَّ الله عليهم به ؛ فإنَّه يلزم من الإقرار به الإقرارُ بتوحيد الإلهيَّة"[3] .

ويقول الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفَّار باعترافهم بربوبيّته جلّ وعلا على وجوب توحيده في عبادته . ولذلك يُخاطبهم في توحيد الربوبيَّة باستفهام التقرير، فإذا أقرُّوا بربوبيّته، احتجّ بها عليهم، على أنَّه هو المستحقّ لأن يُعبد وحده، ووبَّخهم منكراً عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنَّه هو الربُّ وحده؛ لأنَّ من اعترف بأنَّه هو الربّ وحده، لزمه الاعتراف بأنَّه هو المستحقّ لأن يُعبد وحده"[4] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبيّ ﷺ أمَّته إلى توحيد الله. وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنَّة قطعاً . واللفظ لمسلم .

(٢) المجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١٢/٢ .

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ١٣٥/٢ .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ٤١١/٣ .

فتوحيد الربوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة؛ فمن أقرَّ بالأول، لزمه الثاني؛ أي : من عَرَفَ أنَّ الله ربُّه وخالقُه ومدبِّرُ أمورِه، -وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته-، وَجَبَ عليه أن يعبدَه وحده لا شريك له ؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضارّ وحده ، لزم إفراده بالعبادة(١) .

والله ﷻ كثيراً ما يستدلّ على المشركين المقرِّين بتوحيد الربوبيَّة بهذا . من ذلك قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] .

وكما كان توحيد الربوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة؛ فإنَّ توحيد الألوهيَّة يتضمَّن توحيد الربوبيَّة؛ يقول الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله عن توحيد الألوهيَّة:"وهو متضمِّن لتوحيد الربوبيَّة ؛ لأنَّ كلّ من عَبَدَ اللهَ وحده ، فإنَّه لن يعبده حتّى يكون مقرًّا له بالربوبيَّة"(٢) .

فتوحيد الألوهيَّة يتضمَّن توحيد الربوبيَّة؛ أي يدخل ضمناً فيه ؛ فمن عَبَدَ الله وحده لا شريك له ، فلا بُدَّ أن يكون معتقداً أنَّه ربُّه وخالقُه ورازقه ؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضرّ ، وله الخلق والأمر(٣) .

الوقفة السابعة : الفرق بين توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة :

أعظـم الغـلط إنَّما حصل من جهة الانحراف في فهم مدلول كُلٍّ من توحيد الروبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ؛ فليس أحدهما هو الآخر ، والفروق بينهما كثيرة جدًّا ، وأكتفي بذكر بعضها ، فمنها(٤) :

١- فرق في الاشتقاق اللغوي ؛ فالربوبيَّة مشتق من اسم "الربّ" ، والألوهيَّة مشتق من لفظ "الإله" .

---

(١) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص ٣٤-٣٥ . وتوحيد الألوهيَّة للحمد ص ٦٠ .

(٢) المجموع الثمين لابن عثيمين ص ٢٢ .

(٣) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص ٣٤-٣٥ . وتوحيد الألوهيَّة للحمد ص ٦١ .

(٤) انظر إشارات إلى هذه الفروق في الكتب التالية: الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص١٥-١٩. والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص٣٤-٣٥. وتوحيد الألوهيَّة للحمد ص٦٠-٦٣ .

٢- فرقٌ في التعريف؛ فتوحيد الربوبيَّة : إفراد الله بأفعاله؛ من خلق، ورزق، وإحياء، وإماتة، وإعطاء، ومنع ، وضرٍّ ، ونفعٍ ، .. إلخ . وتوحيد الألوهيَّة : إفراد الله بأفعال عباده ؛ من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وخشية ، ورجاء ، ومحبّة ، وخوف ، وتوكُّل ... إلخ .

٣- فرقٌ في الكفاية؛ فتوحيد الربوبيَّة لا يكفي وحده في دخول الإسلام. أمَّا توحيد الألوهيَّة فيكفي وحده ؛ لأنَّ من أتى بتوحيد الألوهيَّة، فقد أتى ضمناً بتوحيد الربوبيَّة . لذلك من قال "لا إله إلا الله" ، فقد أتى بجميع أنواع التوحيد .

٤- فرقٌ في الإقرار ؛ فتوحيد الربوبيَّة أقرّ به المشركون ، وتوحيد الألوهيَّة رفضه المشركون و لم يؤمنوا به، وعبدوا آلهة أخرى، وقالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[الزمر من الآية٣]، ولَمَّا طُلب منهم أن يعبدوا الله وحده ، قالوا ما حكاه الله عنهم : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [صّ : ٥] .

٥- فـــرقٌ في اللزوم والتضمُّن ؛ فتوحيد الربوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة ؛ فمن أتى بتوحيد الربوبيَّة، لزمه أن يأتي بتوحيد الألوهيَّة. أمَّا توحيد الألوهيَّة فإنَّه متضمِّن لتوحيد الربوبيَّة؛ فمن جاء بتوحيد الألوهيَّة ، فقد أتى ضمناً بتوحيد الربوبيَّة .

وهذه الفروق التي ذكرتُها ، مع غيرها من الفروق تردّ على من زعم أنَّ التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد الربوبيَّة ، ولا يُفرِّق بين هذا التوحيد وتوحيد الألوهيَّة .

وثمَّة وقفات أخرى مع توحيد الألوهيَّة في الفصل التالي ؛ حين الحديث عن شهادة "أن لا إله إلا الله" كمعنى لهذا التوحيد ، وعن العبادة ، وأنواعها ، وأركانها .

الفصل الثاني

دراسة بعض التفصيلات عن توحيد العبادة "الإلهيَّة"

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : شهادة أن لا إله إلا الله : معناها ، أركانها ، شروطها ، نواقضها .

المبحث الثاني : العبادة : معناها ، أنواعها ، أركانها .

المبحث الأوّل

شهادة أن لا إله إلا الله

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى "لا إله إلا الله" .

المطلب الثاني : أركان "لا إله إلا الله" .

المطلب الثالث : شروط "لا إله إلا الله" .

المطلب الرابع : نواقض "لا إله إلا الله" .

تمهيد : توحيد الألوهيَّة هو معنى شهادة الحقّ : "أشهد أن لا إله إلا الله" .

ولـمَّا كان جماع التوحيد ، وأساسه ، وعموده ، هو معرفة معنى شهادة الحقّ ، كـان من اللازم أن يحرص المسلم على إدراك معناها ، وفهم مرماها ، والعمل بمقتضاها . ويتضح ذلك في وقفات مع هذه الشهادة ، في المطالب التالية :

المطلب الأول

معنى لا إله إلا الله

توحيد الألوهيَّة ، هو معنى لا إله إلا الله[١] .

ومعنى "لا إله إلا الله" : "أي لا تعبُدُوا أحداً إلا الله"[٢] .

ويزداد هذا المعنى وضوحاً إذا قمنا بإعراب شهادة الحقّ هذه ، فـ :

لا : نافية للجنس .

إلهَ : اسم "لا" مبني على الفتح في محلّ نصب . والخبر مرفوعٌ مقدَّرٌ ، تقديره حقٌّ .

إلا : أداة استثناء . والاستثناء هنا مفرغ .

الله : بدل من لفظ "إله" ، وهو بدل بعض من كلّ .

والجملة مع خبرها المقدَّر : لا إلهَ حقٌّ إلا الله .

وقـد تقـدَّم إنَّ معنى "إلـه" : معبـود . فالجملة على هذا : لا معبودَ حقٌّ إلا الله ، أو لا معبود بحقٍّ إلا إلهٌ واحد ، وهو الله وحدَه لا شريك له[٣] .

ويتضح هذا المعنى حين التفكُّر في حال الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، فاستحلّ دماءهم ، وسبى نساءهم ، وأخذ أموالهم ؛ لقد كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبيَّة ؛ يعلمون أنَّه لا خالق لهم ، ولا رازق ، ولا محيي ، ولا مميت ، ولا مُدبِّر لأمورهم إلا الله . ومع هذا لم يُدخلهم ذلك في الإسلام ؛ لأنَّهم لم يشهدوا "أن لا إله إلا الله" ؛ فعبدوا آلهةً مع الله ﷻ .

---

(١) انظر معارج الصعود إلى تفسير سورة هود للشيخ الشنقيطي ص ٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤١ .

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص٧٣. وأضواء البيان للشيخ الشنقيطي٤/٥٠٨.

المطلب الثاني

أركان "لا إله إلا الله"

"لا إله إلا الله" لها نوعان من الأركان ؛ نوع لفظيّ ، ونوع معنوي .

أمَّا النوع اللفظي، وهو ما تضمَّنه لفظ الشهادة "لا إله إلا الله": فركناه نفيٌ وإثباتٌ؛ "لا إلهَ" : نفيٌ ، و"إلا الله" : إثبات .

وأمَّا النوع المعنوي، وهو ما تضمَّنه معنى الشهادة "لا معبود بحقٍّ إلا الله" : فركناه نفيٌ وإثباتٌ أيضاً ؛ فـ"لا معبود بحقّ" : نفيٌ ، و"إلا الله" : إثباتٌ .

يقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين: "فلا إله إلا الله اشتملت على نفيٍ وإثبات؛ فنفت الإلهيَّة عن كلِّ ما سوى الله تعالى ؛ فكلّ ما سواه من الملائكة ، والأنبياء ، فضلاً عن غيرهم، فليس بإله، ولا له من العبادة شيء. وأثبتت الإلهيَّة لله وحده؛ بمعنى أنَّ العبدَ لا يَأْله غـيره ؛ أي لا يقصده بشيء من التألُّه ؛ وهو تعلُّق القلب الذي يُوجب قصده بشيء من أنواع العبادة ؛ كالدعاء ، والذبح ، والنذر ، وغير ذلك"[١] .

فالنفي إذاً : نفي الإلهيَّة واستحقاق العبادة عن كلّ ما سوى الله ﷻ .

والإثبات : إثبات الإلهيَّة واستحقاق العبادة لله ﷻ وحده ، لا شريك له[٢] .

وهـو معـنـى قـولـه ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

---

(١) الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٢٢ . وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ١/١٨٩ .

(٢) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٣٩ .

المطلب الثالث

شروط "لا إله إلا الله"

معنى الشروط في اللغة :

شروط جمع ، مفردها شَــرْط . والشَّرْطُ : إلزام الشيء ، والتزامُهُ ؛ يُقال : شَرَطَ له أمراً : التزَمَهُ ، وشَرَطَ عليه أمراً : أَلْزَمَهُ إيّاه[١] .

المراد بشروط "لا إله إلا الله" :

يُراد بشروط "لا إله إلا الله" : الأمور التي يجب على الإنسان أن يلزمها ، حتى يُحقّق "لا إله إلا الله" ، أو : ما لا تصحّ شهادة "لا إله إلا الله" إلا بوجودها ، ويجب اجتماعها .

منزلة هذه الشروط من شهادة "لا إله إلا الله" :

هذه الشروط بمثابة الأسنان للمفتاح ، فلا يفتح إلا بوجودها .

وقـــد أشار إلى ذلك عددٌ من علماء الأمَّة ، منهم الإمام الحسن البصري رحمه الله ، حين قال للشاعر الفرزدق –وهو يدفن امرأته– : "ما أعدَدْتَ لهذا اليوم" ؟ قال الفرزدق : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . فقال الحسن : "نعمَ العدَّة ، إنَّ لــ لا إله إلا الله شروطاً ، فإيَّاك وقذف المحصنات"[٢] .

وقيل لوَهْب بن مُنَبِّه رحمه الله: أليس "لا إله إلا الله" مفتاح الجنَّة؟ فقال: "بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئتَ بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك ، وإلا لم يفتح لك"[٣] .

ذكر شروط "لا إله إلا الله" :

ذكر العلماء لكلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" سبعة شروط ، نظمها بعضهم بقوله[٤] :

علمٌ ، يقينٌ ، وإخلاصٌ ، وصدقُك مع ... محبَّةٍ ، وانقيادٍ ، والقبول لها

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً ، ونظمه بقوله :

وزِيدَ ثامنُها الكفرانُ منك بما ... سوى الإله من الأنداد قد أُلــهَــا

ويُمكن بيان هذه الشروط في الوقفات التالية :

---

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٨٦٩ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٤٧٨ .

(٢) انظر : كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي ص.٣٩ . والدين الخالص لصديق حسن خان ١/١٥٧ .

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب في الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله . وقد وصله في تاريخه ١/٩٥ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/٦٦ .

(٤) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٧٧ .

الوقفة الأولى : مع الشرط الأول : العلم المنافي للجهل :

المراد بهذا الشـــرط :

يُراد هذا الشرط : أن نعلمَ معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، ومدلولَها، علماً منافياً للجهل، في النفي والإثبات ؛ فننفي الألوهيَّة عن غير الله ﷻ ، ونُثبتُها له وحدَه ؛ بأن نعلَم أنَّه لا معبودَ بحقٍّ غيره .

من الأدلة على هذا الشـــرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد: من الآية١٩] .

والعلم هنا لا بُدَّ فيه من إقرار القلب ، ومعرفته بما طُلِبَ منه علْمُهُ .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: من الآية٨٦] .

أي : إلا من شَهِدَ بــ لا إله إلا الله ، وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم[١] .

٣- قول رسول الله ﷺ : "مَنْ ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إله إلا الله دَخَلَ الجنَّةَ"[٢] .

الوقفة الثانية : مع الشرط الثاني : اليقين المنافي للشكّ :

المراد بهذا الشـــرط :

حـــتَّى يكون العلم كاملاً ، يجب أن لا يكون فيه شكٌ ولا ريب ؛ فمن علم أنَّ معنى "لا إله إلا الله" : لا معبود بحقٍّ إلا الله ، يجب أن لا يَرِد على علمه شك ولا ريب ، ويجب أن لا يتردّد في الإيمان بمدلولها ، وعليه أن يعتقد صحَّة ما يقوله من أحقيَّة إلهيَّة الله تعالى ، وبُطلان إلهيَّة غير الله ﷻ بأيّ نوعٍ من التألُّه .

من الأدلَّة على هذا الشـــرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥] ؛ فاشترط لصدق إيمانهم بالله ورسوله : كونهم لم يرتابوا ؛ أي لم يشكُّوا . فعُلِم أنَّه لا بُدَّ من البُعْد عن الشكّ في معنى "لا إله إلا الله" .

---

(١) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٤٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقيَ الله بالإيمان وهو غير شاكّ فيه دخل الجنَّة .

٢- قول رسول الله ﷺ : "أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وأنِّي رسولُ الله ، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دَخَلَ الجنَّةَ"(١) .

٣- قول رسول الله ﷺ لأبي هريرة ﷺ : "اذْهَبْ بنعلَيَّ هاتين ، فمن رأيتَه وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مُسْتَيْقِناً بها قلبُه ، فبَشِّرْهُ بالجنَّة"(٢) .

الوقفة الثالثة : مع الشرط الثالث : القبول المنافي للردّ :

المراد بهذا الشرط :

يُراد من هذا الشرط : قبول ما اقْتَضَتْهُ هذه الكلمة بالقلب واللسان ، وتجنُّب ردِّها ؛ لأنَّ من النَّاس من يعلم معنى "لا إله إلا الله"، ويُوقنُ بمدلولها ، ولكنَّه يردُّها كبراً وحسداً ؛ فالمشركون كانوا يعرفون معنى "لا إله إلا الله" ، ولكنَّهم كانوا يستكبرون عن قبوله ، كما حكى ﷻ ذلك عنهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥] ، وقوله : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: من الآية٣٣](٣) .

من الأدلَّة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦] .

٣- قول رسول الله ﷺ : "إنَّ مَثَلَ ما بعثني اللهُ به ﷻ من الهدى والعلم كَمَثَلِ غَيْثٍ أصابَ أرضاً ، فكانت منها طائفةٌ طيِّبةٌ قَبِلَت الماءَ ، فأنبَتَت الكَلَأَ والعُشْبَ الكثيرَ ، وكان منها أجادبُ أمْسَكَتِ الماءَ ، فنفعَ اللهُ بها النَّاسَ ، فشَرِبوا منها وسَقَوْا ورَعَوْا . وأصابَ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقيَ الله بالإيمان وهو غير شاكّ فيه ، دخل الجنّة .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقيَ الله بالإيمان وهو غير شاكّ فيه ، دخل الجنّة .

(٣) انظر : الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كلّ منهما للشيخ ابن جبرين ص ٨٠-٨١ .

طائفةً منها أُخرى ، إنَّما هي قِيْعانٌ ، لا تُمسكُ ماءً ، ولا تُنْبتُ كَلَأً . فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دِيــن الله ، ونفعه بما بعثني الله به ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ . ومَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذلك رأساً ، ولم يَقْبَلْ هُدى الله الذي أُرْسِلْتُ به"[1] .

الوقفة الرابعة : مع الشرط الرابع : الانقياد المنافي للترك :

المراد بهذا الشــرط :

الانقياد من مستلزمات القبول . ولعلّ الفرقَ بينه وبين القبول : أنّ الانقياد هو الاتّباع بالأفعــال ، والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول . ويلزم منهما جميعاً الاتّباع ، ولكنّ الانقياد هو الاستسلام والإذعان ، وعدم التعقّب لشيء من أحكام الله[2] .

من الأدلّة على هذا الشــرط :

١ – قول الله ﷻ : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [لقمان آية ٢٢] .

٢ – قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء : من الآية ١٢٥] .

٣ – قول الله ﷻ : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر: من الآية٥٤] .

٤ – قول رسول الله ﷺ : "لا يُؤْمنُ أحدُكم حتّى يكون هواه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به"[3] .

الوقفة الخامسة : مع الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب :

المراد بهذا الشــرط :

أن يكون صادقاً في قول "لا إله إلا الله" واعتقاد مدلولها ، صدقاً يُنافي الكذب ظاهراً ، ويمنع من النفاق باطناً ؛

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب فضل من علم . وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب بيان مَثَل ما بُعث النبيّ ﷺ من الهدى والعلم . واللفظ لمسلم .

(٢) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٨١ .

(٣) انقسم العلماء في هذا الحديث بين مصحِّح ومضعِّف ؛ لأنّ آفته كما ذكروا هو نعيم بن حمّاد . فانظر كلامهم الطويل عن هذا الحديث في : جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/٣٩٣-٣٩٥ . ومشكاة المصابيح للألباني ١/٥٩ . وظلال الجنّة بتخريج السنّة له ص ١٢ .

فلا يُخالف ظاهرُه باطنَه ، بل يتواطأ ظاهرُه مع باطنه ، وما في داخل قلبه مع ما يقوله بلسانه ، ويجري على جوارحه من الأعمال . وهذا هو الصدق الذي يمنع من النفاق باطناً .

كذلك لا يظهر على جوارحه ما يُناقض ما في قلبه من الاعتقاد بمدلول "لا إله إلا الله" ومقتضاها ، واليقين به . وهذا هو الصدق الذي يُنافي الكذب ظاهراً .

من الأدلّة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت :١-٣] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]؛ فالمنافقون يقولون بألسنتهم ، لكنَّهم يُنكرون مدلول الشهادة بقلوبهم . لذلك حكم الله عليهم بالكذب ، وبأنّ مجرّد القول باللسان لا يُنجيهم ، بل هم في الدرك الأسفل من النَّار .

٣- قول رسول الله ﷺ : "ما من أحد يشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمَّداً رسول الله صِدْقاً من قلبه ، إلاَّ حرَّمَهُ اللهُ على النَّار"[١] .

٤- حين علَّم رسول الله ﷺ الأعرابيَّ شرائعَ الإسلام ، وقال له الأعرابيُّ : والله لا أزيد عليها ، ولا أنقص منها ، قال رسول الله ﷺ : "أفلَحَ إن صَدَقَ"[٢] .

الوقفة السادسة : مع الشرط السادس : الإخلاص المنافي للشرك :

المراد بهذا الشرط :

يُراد بهذا الشرط : تصفيةُ القلبِ وتخليصُه من كلّ ما يُضادّ معنى "لا إله إلا الله" ، وتصفية العبادة ، وتخليصها من شوائب الشرك والرياء . والإخلاص أن تكون العبادة لله وحده ، دون أن يُصرف منها شيء لغير الله ﷻ ، لا مَلَك مقرَّب ، ولا نبيّ مُرْسَل[٣] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الزكاة من الإسلام . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام .

(٣) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٨٣-٨٤ .

من الأدلّة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: من الآية٣] ؛ أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلصَ فيه العامل لله وحده لا شريك له .

٢- قول الله ﷻ : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة:٥] .

٣- قول رسول الله ﷺ : "إنَّ اللهَ حرَّمَ على النَّارِ من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله"(١) .

٤- قول رسول الله ﷺ : "أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه"(٢) .

الوقفة السابعة : مع الشرط السابع : الحبّ المنافي للبُغض :

المحبَّة هي مواطأة القلب على ما يُرضي الله ﷻ ؛ فيحبّ ما أحبّ الله، ويكره ما كره.

المراد بهذا الشرط :

أن يُحبّ هذه الكلمة ، ويُحبّ العمل بمقتضاها ، ويحبّ أهلها العاملين بها .

ومن هنا قيل : "كلُّ من ادّعى محبة الله ، و لم يُوافق الله في أمره ، فدعواه باطلة"(٣) .
و"ليس بصادقٍ من ادّعى محبَّة الله ، و لم يحفظ حدوده"(٣) .

فالعبدُ يُحبُّ الله ﷻ، ويُحبّ رسوله ﷺ، ويُحبّ كلّ ما يُحبّه من الأعمال والأقوال ، ويُحبّ أولياءه وأهلَ طاعته(٤) .

ومتى استقرت كلمة "لا إله إلا الله" في القلب ، فإنّه لا يفضل عليها شيء ؛ إذ حبّها يملأ القلب ، فلا يتسع لغيرها ، وعندئذ يجد العبدُ حلاوةَ الإيمان .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب المساجد في البيوت ،، وكتاب الرقاق ، باب العمل الذي ابتُغي به وجه الله .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنّة والنّار .

(٣) ذكره ابن رجب الحنبلي في كتاب التوحيد ص ٦١ .

(٤) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٨٤ .

من الأدلـة على هذا الشــرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: من الآية١٦٥]. وللمفسرين في أفعـــل التفضيل "أشدّ حُبًّا لله" قولان : أحدهما : الذين آمنوا أشدّ حبًّا لله من حبِّ المشركين لله ؛ لأنّ محبَّة المؤمنين خالصة ، ومحبَّة المشركين مشتركة . وثانيهما : الذين آمنوا أشدّ حُبًّا لله من محبّة المشركين لأندادهم[1] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: من الآية٥٤] ؛ فالله يُحبّهم بسبب تمسّكهم بدينه وشرعه ، وهم يُحبُّونه ، ويمتثلون أوامره ، ويجتنبون نواهيه .

٣- قـــول الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]. يقول الحسن البصري رحمه الله عن هذه الآية: "قال أصحاب النبيّ ﷺ : يا رسول الله إنّا نُحبّ ربّنا حُبًّا شديداً ، فأحبّ الله أن يجعل لحبِّه علماً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[2] .

٤- قول رسول الله ﷺ : "ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ بهنّ حلاوةَ الإيمان : أن يكون الله ورســوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما ، وأن يُحبّ المرء لا يُحبّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النّار"[3] .

واجتمـــاع هذه الشـــروط يُحقّق حلاوة الإيمان ؛ فيستلذّ العبد الطاعات ، ويحتمل المشاقّ ، إذا كان ذلك في سبيل رضا الله ﷻ ، ورضا رسوله ﷺ .

---

(١) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣٥٩/٢ . .

(٢) ذكره السيوطي في الدرّ المنثور ١٧٧/٢-١٧٨ ، وعزاه إلى ابن جرير ، وابن المنذر عن الحسن البصريّ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان .

الوقفة الثامنة : مع الشرط الثامن : الكفرُ بما يُعبد من دون الله :

المراد بهذا الشرط :

أن يُعتقد بطلان عبادة مَن سوى الله ﷻ، وأنّ كلّ المعبودات سوى الله باطلة، وُجدَت نتيجة جهل المشركين وضلالهم. فمن أقرَّهم على شركهم، أو شكّ في بطلان ما هم عليه، فليس بموحِّد ، ولو قال لا إله إلا الله ، ولو لم يعبد غير الله[١] .

يقــول شيخ الإسلام محمَّد بن عبدالوهَّاب رحمه الله عن الكفر بما يُعبد من دون الله : "وهذا من أعظم ما يُبيِّن معنى لا إله إلا الله ؛ فإنّه لم يجعل التلفّظ بها عاصماً للدم والمال ، بـــل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيفَ إلى ذلك الكفرَ بما يُعبَدُ من دون الله . فإن شكّ أو توقّف لم يحرم ماله ولا دمه ..." [٢] .

من الأدلّة على هـذا الشــرط :

١- قــول الله ﷻ : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

٢- قول رسول الله ﷺ : "مَنْ قال لا إله إلا الله ، وكَفَرَ بما يُعبَدُ من دون الله ، حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ ، وحِسابُهُ على الله"[٣] .

وبعـــــد : فهذه هي شروط "لا إله إلا الله" ، ولا بُدَّ من اجتماعها ، والمداومة عليها كي يُختم للعبد بخاتمة حسنة ؛ لأنّ الأعمال بالخواتيم .

فمتى حقّق المسلم هذه الشروط، كان من أهل "لا إله إلا الله" القائمين بها علماً وعملاً، واستحقّ محبّة الله وثوابه ، والتنعّم في جنّات النعيم[٤] .

---

(١) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص ٧٨ .

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٣٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال النّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٤) انظر للاستزادة عن هذه الشروط : تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله لعبيد الجابري .

المطلب الرابع

نواقض "لا إله إلا الله"

النواقض لغةً :

الــنواقض جمع ، مفرده ناقض . يُقال : نَقَضَ الشيءَ نَقْضاً : أفسده بعد إحكامه . ونَقَضَ ما أبْرَمه فلانٌ : أبطله . فالنَّقْضُ ضدّ الإبرام ، ومنه نقض العهدَ أو اليمين : نكثه ، ونقضَ الحبلَ أو الغزلَ : حلّ طاقاته ، ونقضَ البناءَ : هَدَمَه[١] .

المراد بنواقض "لا إله إلا الله" :

يُراد بنواقض "لا إله إلا الله" مُفســداتُها ؛ أي الأمور التي إذا فعلها الشخص ، فَسَدَ توحيدُه وانتقضَ[٢] . فإذا وُجِد في العبد ناقضٌ من نواقض "لا إله إلا الله" ، فإنّه لا يكون من المسلمين ، ولا يكتسب أحكامَهم ، بل يُعطى أحكام أهل الشرك والكفر .

ذكر نواقض "لا إله إلا الله" :

تنوّعت طرائق العلماء في ذكر هذه النواقض ، وتقسيماها ، وتفريعاها .

وثَمّة تقسيمات متعدِّدة ، وكلُّها صحيحة .

ولكنّي سأكتفي بالنواقض التي ذكرها شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله في رسالته الموسومة بــ"نواقض الإسلام"[٣] .

وهذه النواقض عشرة ، والحديث عنها سيكون في الوقفات التالية :

---

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٥١ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٨٤٦ . ولسان العرب لابن منظور ٢٤٢/٧ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٩٤٧ .

(٢) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٩ .

(٣) هذه الرسالة مطبوعة ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قسم العقيدة والآداب، ص ٣٨٥-٣٨٧ .

الوقفة الأولى : مع الناقض الأول : الإشراك بالله[١] :

المراد بهذا الناقض :

يقع هذا الناقض إذا صَرَفَ الإنسان شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ ؛ من صلاة ، أو زكاة ، أو ذبحٍ ، أو نذرٍ ، أو نحو ذلك .

يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز –رحمه الله– : "الشركُ هو تشريكُ غير الله مع الله في العبادة ؛ كأن يدعو الأصنام أو غيرَها ، أو يستغيث بها ، أو ينذر لها ، أو يُصلّي لها ، أو يصوم لها ، أو يذبح لها ..."[٢] .

ومن العبادة : النَّذر ، فمن صَرفه لغير الله فقد أشرك . يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله– : "إنّ الله تعالى مَدَحَ الموفين بالنذر ، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحبّ ، أو ترك محرَّم ، لا يمدح على فعل المباح المجرَّد ، وذلك هو العبادة . فمن فعل ذلك لغير الله متقرِّباً إليه ، فقد أشرك"[٣] .

من الأدلة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: من الآية٧٢] ؛ فالله ﷻ قد حرَّم الجنَّة على كلِّ مُشرِكٍ ، وجعل النَّار مأواه الدائم ؛ لأنّه ترك القيام بعبوديته ﷻ[٤] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١١٦] ؛ فـ"مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشرك به شيئاً دَخَلَ الجنَّة ، ومَنْ لَقِيَه يُشرك به دخل النَّار"[٥] ، كما قال الصادق المصدوق ﷺ .

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصَّلاً في الباب الثاني من هذا الكتاب .

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٣٢/٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٢٠٣ .

(٤) انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٩١ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنّة ومن مات مشركاً دخل النّار .

الوقفة الثانية : مع الناقض الثاني : مَــنْ جعل وسائط وشفعاء بينه وبين الله ، يدعوهم مع الله ، أو من دون الله ، أو يسألهم الشفاعة ، أو يتوكل عليهم[١] :

المراد بهذا الناقض :

أن يجعل العبدُ لنفسه واسطةً بينه وبين الله ﷻ ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أو فيما لا يُشرع ولا يجوز للعبد أن يجعله واسطة ؛ كطلب الرحمة والمغفرة ، ودخول الجنَّة ، وطلب الشفاء ، والرزق من غير الله ﷻ . فهذا من الشرك الأكبر[٢] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا الناقض : "فمَن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ، ويتوكّل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضارّ ؛ مثل أن يسألهم غفران الذنوب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكروب ، وسدّ الفاقات ، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين"[٣]؛ لأنَّ الثمرة التي يُريد أن يصل إليها من يُجيز جعل الوسائط بين العبد وربّه ، هو إثبات الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. وهذا هو الشرك بعينه[٤].

من الأدلّــة على هذا الناقض :

١- قــول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الاحقاف:٥] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد:١٤] .

٣- قــول الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر:٤٠] .

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصَّلاً في الباب الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) انظر تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد بن محمد القحطاني ص ٤٤ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٢٤ .

(٤) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٣٧ .

الوقفة الثالثة : مع الناقض الثالث : عدم تكفير المشركين، أو الشكّ في كفرهم ، أو تصحيح مذهبهم[1] .

المراد بهذا الناقض :

أمَرَ الله ﷻ رسولَه ﷺ في آيات كثيرة بالبعد عن الكفّار والمشركين ، والمخالفة لهم ، والبراءة منهم . قال تعالى : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:٤١] ، وقال ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

و"مسألة الحكم بتكفير الكافر مبنيَّة على أصلٍ كبيرٍ ؛ وهو أنَّ الله تعالى عقد الأخوَّة والموالاة والمحبَّة بين المؤمنين كلِّهم، ونهى عن موالاة الكافرين كلِّهم، ممَّن ثبت في الكتاب والسنَّة الحكم بكفرهم"[2] .

فـ"مَنْ لم يُكفِّر المشركين الذين كُفرُهم وشركهم ظاهرٌ بيِّنٌ ، فهو كافر ؛ لأنَّ الله تعالى كفَّرهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، فلا يُحكم بإسلام المرء حتَّى يُكفِّر المشركين"[3] .

من الأدلَّة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: من الآية١] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: من الآية٢٢] .

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصَّلاً في الباب الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٥١ .

(٣) تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد بن محمد القحطاني ص ٥٣ .

الوقفة الرابعة : مع الناقض الرابع : من اعتقد أنّ غير هدي النبيّ ﷺ أكمل من هديه ، أو أنّ حكمَ غيره أحسن من حكمه .

المراد بهذا الناقض :

من اعتقد أنّ هناك ديناً أحسن من الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ ، أو هَدْياً أكمل من هديه ﷺ ، أو حكماً أفضل من الحكم الذي أتى به من عند ربِّه ﷻ ، فقد كفر ؛ لأنّه كذَّب ما جاء في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ ؛ فالله ﷻ يقول : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ [الاسراء:٩]، ويقول ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠]، ويقول رسول الله ﷺ:".. وخيرَ الهدي هديُ محمَّد"(١).

يقـول سماحة الشيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله : "من اعتقد أنّ حكمَ غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه ، وأتمّ وأشمل لما يحتاجه النّاس من الحكم بينهم عند التنازع ؛ إمَّا مطلقاً ، أو بالنسبة إلى ما استجدّ من الحوادث التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغيُّر الأحوال ، فلا ريب أنّه كُفــرٌ ؛ لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان ، وصرف نحالة الأفكار ، على حكم الحكيم الحميد"(٢) .

من الأدلّة على هـذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء:٥٩] ؛ فالله ﷻ طلب من عباده الاحتكام إلى كتابه وسـنَّة نبيِّه ﷺ عند وقوع التنازع .

٢- قـول الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ [النساء:٦٠] ؛ فأخبر ﷻ أنّ الاحتكامَ إلى غير كتابه وسنَّة نبيِّه ﷺ إضلالٌ مـن الشيطان ، وهو من صنيع المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ [النساء:٦١] .

٣- قـول الله ﷻ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء:٦٥]؛ فنفى الإيمان عمَّن لم يرض بحكم الله ﷻ .

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ٥ .

(٢) رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم ص ١٤ .

الوقفة الخامسة : مع الناقض الخامس : من أبغض شيئاً مِمّا جاء به الرسول ﷺ .

المراد بهذا الناقض :

بُغضُ وكراهية الحقّ من صفات الكفّار، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [المؤمنون : من الآية٧٠] ، وهو أيضاً من صفات المنافقين الذين قال الله ﷻ عنهم : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: من الآية٥٤] .

فمن أبغضَ وكره ما شرعه الله ﷻ، أو أبغض وكره التكاليف الشرعيَّة –من صلاة وصيام وزكـاة وحج وغيرها– ، وتمنَّى أنَّ الله لم يُكلِّف بها ، فهذا لا شكّ في كفره ؛ لأنّ في صنيعه تركاً للقبول والانقياد والتسليم التي تقدَّم الحديث عن أنّها من شروط لا إله إلا الله [١] .

ولذلك كفَّر العلماء من اتَّصف بهذه الصفة ، وقالوا : "تكفيرُ هذا معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام ، والقرآن مملوءٌ من تكفير مثل هذا النوع.."[٢] .

من الأدلَّة على هذا الناقض :

١- قـول الله ﷻ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:٩] ؛ فهؤلاء كرهوا ما أنزل الله من القرآن –وهو ما جاء به النبيّ ﷺ– ، فلم يقبلوه، بل أبغضوه، ورفضوه، فأحبط الله أعمالهم ، والأعمال لا تحبط إلا بالكفر الذي يُناقض الإيمان .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: من الآية٦٣]. ولا ريب أنَّ من أبغض ما جاء به رسول الله ﷺ مخالفٌ لأمره عليه الصلاة والسلام.

٣- قـول عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– : "من تَرَكَ السُّنَّة كَفَرَ"[٣] . وقوله ﷺ محمولٌ على الترك مع البُغض والجحود ، أو على ترك منهج النبيّ ﷺ وطريقته التي أوجب على أُمَّته سلوكها[٤] .

---

(١) انظر تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام للقحطاني ص ٦٩ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٥٢٢ .

(٣) ذكره ابن بطة العكبري في الشرح والإبانة ص ١٢٣ .

(٤) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٦٨-٦٩ .

الوقفة السادسة : مع الناقض السادس : مَن استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ ، أو ثوابه ، أو عقابه .

المراد بهذا الناقض :

من تجرّأ بكلامٍ فيه غضٌّ من دين الله ، أو تنقُّصٌ لـه ، أو استهزاءٌ به ، أو تنقّص لرسول الله ﷺ ، أو استهزاء به ، كفر بإجماع علماء المسلمين[١] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله –رحمه الله– : "ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك ؛ فمن استهزأ بالله ، أو بكتابه ، أو برسوله ، أو بدينه، كفر –ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء– إجماعاً"[٢] .

ويقول الشيخ حمد بن عتيق –رحمه الله– : "اعلم أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ من استهزأ بالله ، أو رسوله ، أو كتابه ، فهو كافرٌ ، وكذا إذا أتى بقولٍ أو فعلٍ صريحٍ في الاستهزاء"[٣] .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله : "فإنّ الاستهزاء بالله ورسوله كفرٌ مخرجٌ عن الدين؛ لأنّ أصل الدين مبنيّ على تعظيم الله، وتعظيم دينه، ورسله. والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل ، ومناقض له أشدّ المناقضة"[٤] .

من الأدلّة على هذا الناقض :

١ – قول الله ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] .

---

(١) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٥١٣ .

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٦١٧ . وانظر : روضة الطالبين للنووي ١٠/٦٤-٦٥ . والروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق حسن خان ٢/٢٩٣. وفتاوى العقيدة لابن عثيمين ص١٩٣.

(٣) الدرر السنيَّة في الأجوبة النجدية –لعدد من العلماء– ١٠/٤٢٨ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان لابن سعدي ٣/٢٥٩ .

هاتان الآيتان حكمتا بكفر المستهزئين بالله ، أو بدينه ، أو بكتابه ، أو برسوله ، ولنزولهما سببٌ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عمر -رضي الله عنهما- ، وفيه : "أنّ رجلاً قال في غزوة تبوك، في مجلس : ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء، أرغبَ بطوناً ، ولا أكذبَ ألسُناً، ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجلٌ في المجلس : كذبتَ، ولكنَّك منافق ، لأُخْبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ . فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ ، ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيتُه متعلقاً بحَقَب[1] ناقة رسول الله ﷺ تَنْكُبُهُ الحجارةُ[2]، وهو يقول : يا رسولَ الله إنَّما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ . ورسول الله ﷺ يقول: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾"[3] .

فدلّت هاتان الآيتان على كفر المستهزئ بالله ﷻ ، أو بآياته ، أو برسوله ﷺ .

فائدة : سُئل فضيلة الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله : هل تنطبق الآيتان السابقتان على الذين يسخرون ويستهزئون بالذين يعفون لحاهم ، ويلتزمون بدين الله ؟ فأجاب رحمه الله : "هؤلاء الذين يسخرون بالذين يلتزمون بدين الله ، المُنَفِّذين لأوامره ، إذا كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشّرع ، فإنَّ استهزاءهم بهم استهزاء بالشريعة ، والاستهزاء بالشريعة كفرٌ . أمَّا إذا كانوا يستهزئون بهم ، يَعْنُون أشخاصهم -بقطع النظر عمَّا هم عليه من اتِّباع السُّنَّة في الثياب واللحية- ، فإنَّهم لا يكفرون بذلك ؛ لأنَّ الإنسان قد يستهزئ بالشخص نفسه ، بغضّ النظر عن عمله وفعله . لكن يجب على كلّ إنسان أن يحذر من الاستهزاء بأهل العلم ، أو الاستهزاء بأهل الدين الذين يتمسَّكون بما دلَّ عليه كتابُ الله وسنَّة رسوله ﷺ"[4] .

---

(١) حَقَب الناقة : الحزام الذي يلي حَقْوَ البعير . أو هو حبلٌ تُشَدُّ به الحقيبة (المعجم الوسيط ص ١٨٧) .

(٢) أي تُدْميها (المعجم الوسيط ص ٩٥٠) .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ٤٠٩/٦ . وإسناده لا بأس به . وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية٢٧٢/٧-٢٧٣. والحذر بمعرفة أنّ من هزأ بالدين كفر لجمال الدين باش٢١-٣٣.

(٤) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ١٩٦ . وانظر المرجع نفسه ص ١٩٧ .

الوقفة السابعة : مع الناقض السابع : السِّحْرُ ، ومنه الصرفُ والعطفُ[١] .

السحر من نواقض "لا إله إلا الله" .

ومن السحر أدوية وعقاقير وعُقَد وطلاسم تُؤثِّر على بدن المسحور فتجده ينصرف عن زوجته "الصرف" ؛ فيُبغضها ويُبغض بقاءها معه . أو ينعطف قلبُه ويميل نحو زوجته أو امرأة أُخرى "العطف" ؛ حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء[٢] .

والدليل على هذا الناقض، قول الله ﷻ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢] .

الوقفة الثامنة : مع الناقض الثامن : مظاهرة المشركين ، ومعاونتهم على المسلمين .

المراد بهذا الناقض :

المقصود من مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين : أن يتّخذ البعضُ الكفّارَ والمشركين أولياء ؛ فيكونوا لهم أنصاراً وأعواناً ضدّ المسلمين ، وينضمُّون إليهم ، ويذبُّون عنهم بالمال والسنان والبيان . فهذا كفرٌ يُناقض الإسلام .

والله ﷻ نهانا في آيات كثيرة أن نتّخذ الكفّار والمشركين أولياء .

ومن معاني هذه الولاية التي نُهينا أن نصرفها لهم : المحبّة، والمودّة الدينيَّة، والنُّصرة ، والتأييد على المسلمين[٣] .

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض بالتفصيل في الباب الثالث من هذا الكتاب .

(٢) انظر : شرح نواقض التوحيد لحسن عواجي ص ٧٨-٨٧ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ٧٩-٨٤ .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/١٦٠-١٦١ .

من الأدلّة على هذا الناقض :

١ -قول الله ﷻ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ؛ أي لا تتخذوا أيّها المؤمنون الكفّارَ ظَهْراً وأنصاراً تُوالونهم على دينهم، وتُظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلّونهم على عوراتهم ؛ فإنّه من يفعل ذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر . إلا أن تكونوا في سلطانهم ، فتخافوهم على أنفسكم ، فتُظهروا لهم الولاية بألســـنتكم ، وتُضمروا لهم العداوة ، ولا تُشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولا تُعينوهم على مسلم بفعل(١) .

٢ - قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] ؛ أي لا تتخذوا أيّها المؤمنون اليهودَ والنصارى أولياء، ومن يفعل ذلك منكم فإنّه منهم؛ لأنّ "التولّي التامّ يُوجب الانتقال إلى دينهم، والتولّي القليل يدعو إلى الكثير ، ثمّ يتدرّج شيئاً فشيئاً ، حتى يكون العبد منهم"(٢) .

٣ - قـــول الله ﷻ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] ؛ فأخبر ﷻ أنّ المؤمن -الذي لا بُدَّ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّـــا ســـواهما- لا تجـــده موادًّا لمن حادَّ الله ورسوله ؛ فإنّ هذا جمع بين ضدَّين لا يجتمعان ، ومحبوبُ الله ، ومحبوب معاديه لا يجتمعان(٣) .

٤ - قـــول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٩] ؛ فأخبر ﷻ أنّ مـــن يفعل ذلك -أي من يتولّى الكفّار- فإنّه ظالم ، "وذلك الظلم يكون بحسب التولّي ، فإن كان تولّياً تامًّا ، كان ذلك كفراً مُخرجاً عن دائرة الإسلام"(٤) .

---

(١) انظر جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ٣/٢٢٧ .
(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٢/٣٠٤ .
(٣) انظر قاعدة في المحبّة لابن تيمية ص ٨٩-٩٠ .
(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧/٣٥٧ .

الوقفة التاســعة : مع الناقض التاسع : من اعتقد أنّ بعضَ النّاس يَسَــعُهُ الخروج عن شريعة محمّد ﷺ ، كما وَسِعَ الخضر عليه السلام الخروج عن شريعة موسى عليه السلام .

المراد بهذا الناقض :

يعتقد البعضُ أنّ بالإمكان الخروج عن شريعة نبيّنا محمَّد ﷺ ومخالفته ، والاستغناء عن متابعته في عموم أحواله أو بعضها ، زاعمين أنّ في قصَّة الخضر عليه السلام حُجَّةً لهم[١] .

ولا ريب أنّ هذا الاعتقاد كُفرٌ مُخرجٌ عن الملّة . يقول الشيخ موسى بن أحمد المقدسيّ : "من اعتقدَ أنّ لأحدٍ طريقاً إلى الله من غير مُتابعة محمَّد ﷺ، أو لا يجب عليه اتّباعه ، أو أنّ له أو لغيره خروجاً عن اتّباعه وأخذِ ما بُعِث به ، أو قال : أنا مُحتاجٌ إلى محمَّدٍ في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة . أو قال : إنّ من الأولياء من يَسَعُه الخروج عن شريعتِه كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ، أو أنّ غيرَ هدي النبيّ ﷺ أكمل من هَدْيِه ، فهو كافرٌ"[٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "من اعتقد أنّ أحداً من أولياء الله يكون مع محمَّد ﷺ كما كان الخضر مع موسى عليه السلام ، فإنّه يُستتاب ، فإن تاب ، وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ"[٣] .

وقصّة الخضر مع موسى قصَّها اللهُ علينا[٤]، وفيها : خَرْقُ الخضر للسفينة، وقتله للغلام، وإقامته للجدار . وقد زعم المحتجُّون بها أنّ الخضر خالف موسى عليه السلام وخرج عن شريعته، وعـــن الأمر والنهي الشرعيَّيْن . قالوا : وكذلك يسوغ لبعض النّاس الخروج عن الشريعة النبويَّة كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى عليه السلام[٥] .

ومزاعمهم هذه مردودة عليهم من وجوه[٦] :

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٢/١١ .

(٢) الإقناع لطالب الانتفاع لموسى المقدسيّ ٢٨٧/٤-٢٨٨ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٢/٣ .

(٤) في سورة الكهف ، الآيات ٦٠-٨٢ .

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٤٢٠/١١ .

(٦) ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٦٣/١١ .

١- إنَّ موســى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان على الخضر اتباعــه ، بل كان مبعوثاً إلى قومه خاصَّة؛ إلى بني إسرائيل، والخضر عليه السلام ليس من بني إسرائيل. وموسى عليه السلام قَصَــدَ الخضر للتعلُّم منه ، والأخذ عنه، وحين لقيــه قــال لــه : "أتيتُك لتعلّمني ممَّا عُلِّمتَ رُشْــداً"[١] . فلا يُقاس عليه رسولُنا ﷺ الذي أرســله الله لجميع الثقلين ؛ الجنّ والإنس، كما قال ﷺ : "وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعثتُ إلى النَّاس عامَّة"[٢].

ولا يُعتبر صنيع الخضر عليه السلام خروجاً على شريعة موسى عليه السلام . أمَّا من خالف رسول الله ﷺ، و لم يُطعــه في كلّ ما أمر، أو ينته عمَّا نهى عنه وزجر ، فهو من أُمَّته ، ولا يجوز له مخالفته ، فإن فعل ، فهو خارجٌ عن شريعته عليه الصلاة والسلام لا محالة .

٢- إنَّ قصَّــة الخضر عليه السلام ليس فيها مخالفة للشريعة ، بل ما فعله عليه السلام يُباح في الشريعة إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر عليه السلام . ولهذا لَمَّا بيَّن الخضر لموسى أسبابها ، وافقه موسى عليه السلام على ذلك ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفاً لشريعة موسى ، لما وافقه بحال[٣] .

أمَّا هذا الذي يُريد الخروج على شريعة محمَّد ﷺ ، فهو مخالفٌ لشريعته . ويتضح ذلك في الوجه الثالث .

٣- إنَّ ما فعله الخضر عليه السلام كان عن وحيٍ من الله ﷻ، وليس مجرَّد خيال أو إلهام . وهذا لا يُمكن أن يكون لأحدٍ بعد رسولنا ﷺ؛ خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بموته انقطع الوحي . ومن ادّعى حصوله كفر[٤] .

إذاً : لا يجوز الخروج على شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بحال ، ومن فعل ذلك ، فهو كافرٌ مرتدّ ، وهو من أعظم النَّاس كفراً[٥] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التيمُّم ، باب ١ ، حديث رقم ٣٣٦ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٣/١١ . وشرح نواقض التوحيد لحسن عواجي ص ١٠٠-١٠١ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ١٠٠ .

(٤) انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنَّة لعبد الرحمن عبد الخالق ص ١٣٢ .

(٥) انظر إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ١٢٣/١ .

الوقفة العاشرة : مع الناقض العاشر : الإعراض عن دين الله، فلا يتعلّمه، ولا يعمل به.

المراد بهذا الناقض :

الإعراض التامّ عن دين الله ﷻ ، والتولّي عن طاعة رسول الله ﷺ ، والامتناع عن الاتّباع ، والصدود عن قبول حكم الشريعة ؛ فلا إرادة له في تعلُّم الدين ، ولا يُحدِّث نفسه بغير ما هو عليه[1]، ويُعْرِض إعراضاً كُلِّيًا عن جنس العمل الظاهر "الطاعة أو الاتباع" . والإعراض التامّ الكُلّي لا يقع إلاّ مِمَّن تمكَّن من العلم ومعرفة الحقّ ، وتمكَّن من العمل ، فأعرض ، وفرَّط ، وترك ما أوجبه الله عليه ، من غير عذر . فهذا وأمثاله مفرِّط بإعراضه عن اتِّباع داعي الهدى . فإذا ضلَّ ، فإنَّما أُتي من تفريطه وإعراضه[2] .

ويجب أن يُعلَم أنَّ الإعراض ليس كله مِمَّا يُخرج من الملّة ، بل الذي يُكفَر بتركه هو الإعراض عن تعلُّم الإيمان العام المجمَل ، والإعراض عن جنس العمل الذي يُعدُّ شرطاً في صحّة الإيمان[3] ، فهذا هو الذي يكفر فاعلُه لأنّه لم يتعلَّم دين الله ، ولم يعمل به .

يقول العلامة ابن القيِّم عن الإعراض عن تعلُّم الإيمان المجمل الذي يُدخل صاحبه في دائرة الإسلام : "والإسلام هو توحيدُ الله وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بالله وبرسوله ، واتّباعه فيما جاء به . فما لم يأت العبدُ بهذا فليس بمسلم ، وإن لم يكن كافراً مُعانداً ، فهو كافرٌ جاهلٌ"[4] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإعراض عن العمل : "وقد تبيَّن أنَّ الدينَ لا بُدَّ فيه من قولٍ وعملٍ ، وأنّه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه ، أو بقلبه ولسانه ، ولم يؤدِّ واجباً ظاهراً، ولا صلاة، ولا زكاة، ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات"[5] .

---

(١) انظر : طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيَّة ص ٤١٢-٤١٣ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ١٠٢ .

(٢) انظر : مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزيَّة ٤٣/١ . والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١٧/٣ .

(٣) انظر : شرح نواقض الإسلام لحسن عواجي ص ١٠٥ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ١٠٢-١٠٣ .

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيَّة ص ٤١١ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٢١/٧ .

من الأدلّة على هذا الناقض :

١ - قول الله ﷻ : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [النور:٤٧-٤٨] ؛ "فنفى الإيمان عمَّن تولّى عن العمل ، وإن كان قد أتى بالقول"[١] .

٢ - قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢] ؛ فدلّ على أنَّ من تولّى عن طاعة الله ﷻ ، وطاعة رسوله ﷺ ، فهو كافر[٢] .

٣ - قول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١]؛ "فبيَّن سبحانه أنَّ من تولّى عن طاعة الرسول ﷺ، وأعرض عن حكمه ، فهو من المنافقين ، وليس بمؤمن"[٣] .

٤ - قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦] ؛ فأخبر ﷻ أنَّ المعرضين في معيشة ضنك ، وضيق ، وأنَّهم يُحشرون يوم القيامة عُمياً .

خاتمة النواقض :

خَتَمَ شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله مبحث النواقض بقوله : "ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل ، والجادّ ، والخائف ، إلاَّ المُكْرَه . وكلُّها من أعظم ما يكون خطراً ، ومن أكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ، ويخاف منها على نفسه . نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ، وصلّى الله على محمَّد" .

وكلامه -رحمه الله- بعدم التفريق بين الهازل والجادّ في محلّه ، ويُمكنك إدراكه إذا تأمَّلت في سبب نزول الآية ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾؛ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزاح واللعب . نسأل الله أن يعصمنا بالتقوى إنَّه سميع مجيب .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٢/٧ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣٣٨/١ .

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٣٣ .